أحمد هريدى

اقرأ

سلة ثقافية شهرية
در عن دار المعارف

تعال معى إلى الأوبرا

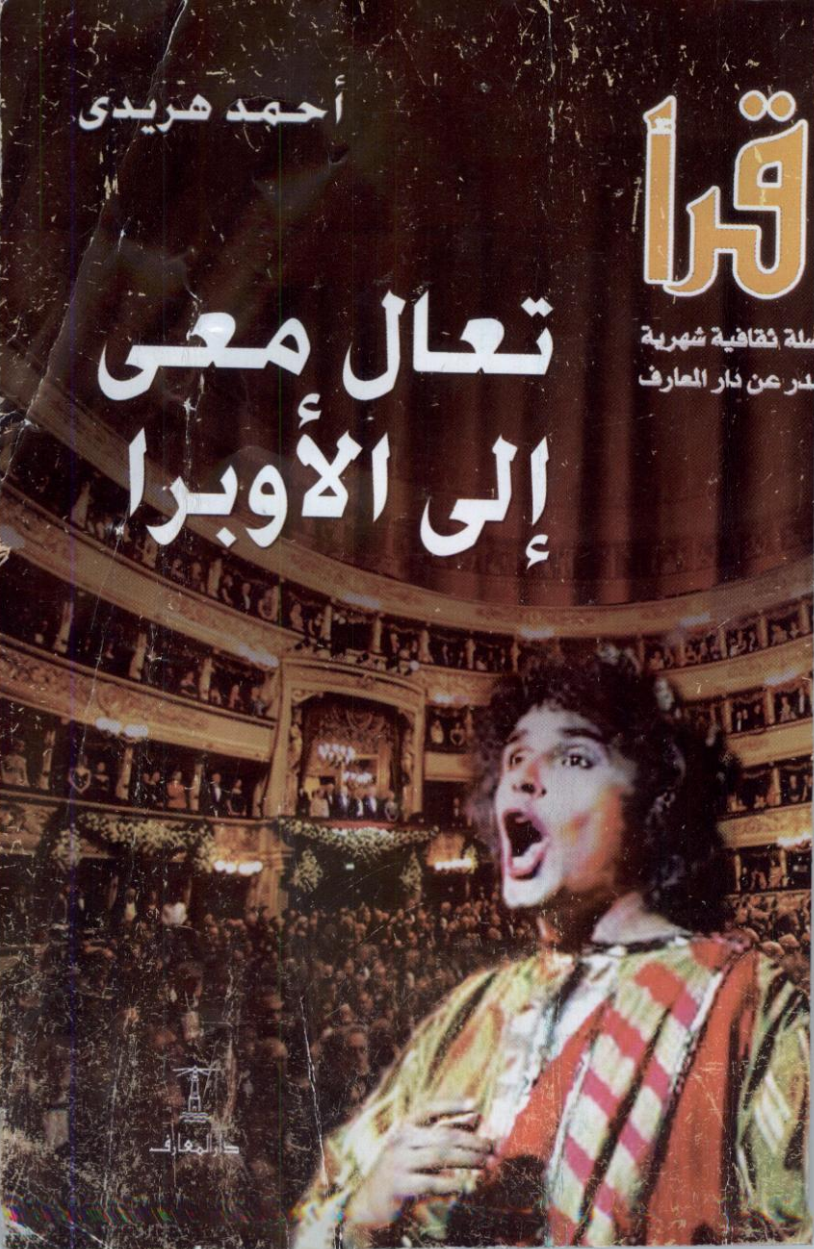

دار المعارف

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٧٦١]

رئيس مجلس الإدارة

كمال محجوب

مدير التحرير
أسامة عز الدين

هيئة التحرير
عصام عبد الجليل
ياسر محمد على
على محمد حاج
نرفانا محمود

مدير تنفيذى
محمد البحيرى

مدير فنى
أمانى والى
عصمت أحمد

مشرف فنى
شريف رضا

تصميم الغلاف
دعاء عبد الواحد

رقم الإيداع ٢٠١٢ / ٢١٢٩٤

الترقيم الدولى ISBN 978-977-02-7686-0

١ / ٢٠١٢ / ٤

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg

أحمد هريدى

تعال معى إلى الأوبرا

تأسست ١٨٩٠

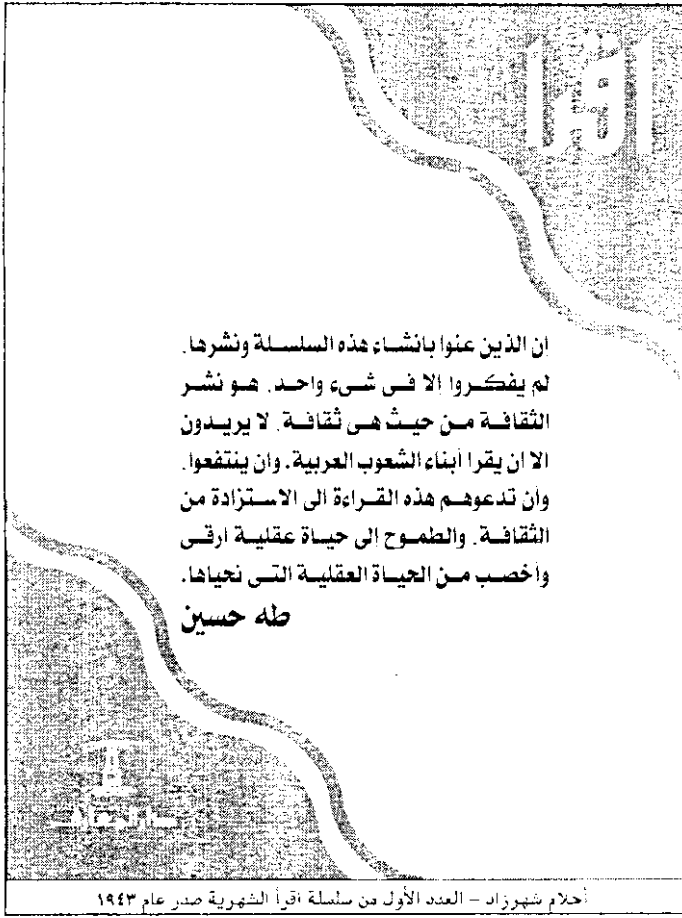
اقرأ
ان الذين عنوا بانشاء هذه السلسلة ونشرها. لم يفكروا الا فى شىء واحد. هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة. لا يريدون الا ان يقرأ أبناء الشعوب العربية. وان ينتفعوا. وان تدعوهم هذه القراءة الى الاستزادة من الثقافة. والطموح إلى حياة عقلية ارقى واخصب من الحياة العقلية التى نحياها.
طه حسين

أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

الشرق وطن الروح

نداء

غامض جذب «إيزادورا دنكن» رائدة الرقص الحديث. يدعوها إلى التوجه في رحلة خيالية إلى جزيرة بحر إيجه. لاكتشاف فنون الرقص عند شعوب البحر الأبيض المتوسط. ولاستلهام تصميمات لرقصاتها من النقوش والزخارف التي تسجل صور الحرب ومهرجانات الحصاد. لتكتشف أن أرض الأناضول التي في موقع القلب من تركيا قد انطلقت منها أولى خطوات الرقص وأول طقوس تحرر الجسد من قيوده. من تلك البقعة في أرض الأناضول التي يلتقي فيها التاريخ الروحي لأوروبا وآسيا. والتي تضم إليها رابية طروادة وما تحمله من آثار أبطال الشاعر اليوناني «هوميروس». ومن حكايات تضمنتها ملحمة «الإلياذة» حول المعركة الضارية التي انتهت بدخول اليونانيين المدينة والاستيلاء عليها من أجل «هيلين» الملكة الجميلة الهاربة من تلك البقعة من أرض الأناضول. يأتينا عرض «نيران الأناضول» بلوحاته الفلكلورية الراقصة وموسيقاه المعبرة عن مختلف أنحاء تركيا. متخذا من أساطير الأناضول القديمة وتاريخها الثقافي مصدرا لإبداعه.

المكان داخل حرم قلعة «محمد علي». الرابضة فوق تلة صخرية بالقرب من جبل المقطم. التي تحكي حجارتها وممراتها وأقبيتها

وأسوارها العالية حكايات عن عصر «محمد علي» الوالي العثماني الذي تولى حكم مصر منذ مائتي عام. كل شيء هادئ في قلعة «محمد علي» في أمسية من أمسيات شهر نوفمبر. إلا من موسيقى تدل على روح تركيا ذات التاريخ الضارب في القدم. ومن مسرح في الهواء الطلق تغشاه المصابيح الملونة ويحيط به معمار القلعة. متجسدا في مآذن وقباب وسلالم حجرية وطرقات وأسوار ونوافذ وفتحات صغيرة وفوهات مدافع. إنها الموسيقى صاحبة السعادة تتسلل إلينا خفية وتتقبلنا في خشوع وفرح. انها ذات الموسيقى التي استمع إليها شاعر تركيا «ناظم حكمت» في قرى الأناضول التي سافر إليها في عام ١٩٢٠ ليشارك في الحرب الدائرة هناك. بعد مغادرته «اسطنبول» التي استولى عليها الحلفاء.

تخفت موسيقى تمهيد العرض تدريجيا في مسرح الهواء الطلق تحت ظلال مآذن وأسوار القلعة. نور المصابيح وضياء القمر يغمر فضاء خشبة المسرح. والموسيقى تصاحب رقصة فتى وفتاة حول شعلة من النار يتصاعد لهيبها فوق جبل «نمرود» الذي ترتفع قمته إلى عنان السماء. إنها جذوة النار التي سرقها «بروميثيوس» وأعطاها للإنسان على غير رغبة من «زيوس» كبير الآلهة. الذي غضب من «بروميثيوس» وعاقبه على فعلته تلك وقيده إلى صخرة وجعل النسور تنهش كبده. فضلا عن الصندوق الذي كان بصحبة الجميلة «باندورا». والذي ما إن فتح حتى عمت الشرور عالم الإنسان.

طائر النار يمس بجناحه قلب فتاة من الأناضول فيشتعل بالحزن بسبب قوى الشر التى اغتالت البراءة والطيبة والحب. ترقص ابنة الأناضول وتدق الأرض بقدميها ويتكلم الجسد يعتصره الألم. مثل النساء الإغريقيات ترقص ابنة الأناضول عارية القدمين فى ردائها الطويل الفضفاض الأبيض الشفاف. معبرة بجسدها الصغير عن الغريزى والانفعالى والفطرى. من خلال الحركة والسكون والارتعاشة والاختلاجة. فيتكشف لنا الجسد الراقص غاضبا كالبحر. عاصفا كالريح. وفى طفولة شعاع الشمس الوليد. لكن فتى الاناضول رفيق الرقصة المتألمة يعبر بلغة الجسد عن أن الأمل يظل الملاذ الوحيد للإنسان فى كل ما يلم به من مصائب الزمان.

الأناضول. جريحة يلفها السواد والموت. ونحيب الناى يسرى فى فضاء الجبال والهضاب. داخل حلقات الذكر ترقص الأجساد الصغيرة رقصات تعبدية على إيقاع الدفوف وأنغام الناى الحزين. شعار الطريقة الصوفية المولوية. رقصات الدراويش بملابسهم البيضاء الفضفاضة الشفافة تعبر عن رغبة الروح التى هى قبس من الله فى التحرر من سجن الجسد. الأجساد الصغيرة المتألمة كطيور بيضاء. المحلقة فى فضاء المسرح. أراد لها «مصطفى أردوغان» مصمم الرقصات أن تشكل أمامنا نفوسا تحررت من متاع الدنيا وانطلقت تنشد السماء على وقع الأناشيد العذبة والأنغام الصافية. إنها حلقات الذكر التى تصل بالمتعبدين إلى شفافية الجسد وصفاء الروح.

موسيقى «تانر ديميرالب» و«قوات ساكا» و«تاسكان صابا» تصدح في فضاء قلعة محمد علي. فتتبدى أمام عيوننا كقوس قزح. أو كأمطار أبريل الملونة المقدسة الشافية لأمراض البدن. التي كان دراويش الأناضول يجمعونها في وعاء نحاسي كبير ويتلون الآيات القرآنية عليها لتطييرها. ويغمسون فيها طرف عمامة مولانا للتبرك. ثم تقدم لراغبي شفاء الأبدان السقيمة.

هنا على مسرح محكي القلعة المضاء بأنوار المصابيح الملونة. وتحت ظلال المآذن والقباب والأسوار والسماء الزرقاء والقمر في اكتماله وتمامه. وعلى صوت أنغام الموسيقى. وعلى وقع حركات الرقص. أكاد أستشعر روح مولانا الشاعر المتصوف «جلال الدين الرومي». تحلق من حولي وتهمس إليّ بألا نحتقر الجسد. فبدونه لا مجال للامتحان. ولا مجال للصراع بين الروح والجسد. ولا مجال للتصوف. وبألا نعتزل الدنيا. وبأن نعيش الدنيا وننتصر عليها. أكاد أسمع صوت مولانا الشاعر الصوفي «جلال الدين الرومي». الذي آثر أن يدفن جسده في تراب «قونيه» التركية يقول:

تعال إليّ. تعالوا إليّ
مهما تكونوا وأينما كنتم
ملحدين أو عبدة نار أو خاطئين
تعالوا حتى ولو حنثتم بقسم التوبة مائة مرة

فدينـنـا ليس بوابة إلى اليأس والتعاسة

تـــــــعـــــالـــــــــوا

إنـه الناى القادم من الأناضول الفقير المعذب. صوت أنين الروح فى حنينها إلى الله. إنـه الناى أيضا. صوت فقـراء الأناضول الذين بكدهم شعرا شـاعر تركيا ناظم حكمت عندما تحدث عن النصر الذى تحقق لأبطال مغمورين من الأناضول على اليونانيين وحلفائهم.

«ناظم حكمت» الذى أمضى سنوات طويلة فى سجن حكومة بلاده تركيا. هو «بروميثيوس» مقيدا أمامنا إلى صخرة على خشبة مسرح محكى القلعة. والنسور السوداء تنهش كبده بأمر من «زيوس». هذا هو أيضا ناظم حكمت. أو «بروميثيوس» طليقا ينشد للجمع الراقص على صوت أنين الناى وقرع الطبول أنشودة الذين يشربون الشمس فى أزاهير الأرض:

إنـــها خـصلة شـعـــر مـلـتـهـبـة

تتجـعـد وتـحـتـرق كـشـعـلـة حمراء دامية

فـــــوق الـجـبـــاه الـــسـمـــراء

لـقـد رأيـــت أنـــا هـــؤلاء الأبـطـال

واحـتـفـنـت كـذلـك تـلـك الـخـصـلـة

لـقـد عـبـرت مـعـهـم الـجـسـر

الـــذاهـــب إلـــى الـــشـمـــس

وشـــربـــت كـذلـك مـــن أزاهـيـر الأرض

وغنيت تلك الأنشودة
لقد نفض غبار الكسل ممزقين أفواه الأسود
ذات الأعراف الذهبية
وشبنا واستطينا الرياح البارقة
الجنود بأيديهم الملتهبة
يضربون بالسياط خيولهم الجامحة
سوف نأخذ الشمس عنوة
لقد ناب الاستيلاء على الشمس وشيكا
لقد ولدنا من التراب والنار والماء والحديد
ونساؤنا يرضعن أطفالنا الشمس
نحن نرتفع على رؤوس موتانا
نرتفع صوب الشمس

الرقصة على خشبة مسرح محكي القلعة تدل على الموروث التاريخي القديم لبلاد الأناضول المتجسد في النقوش والرسوم والزخارف والصور والآثار القديمة. شاشة العرض الدائرية المستندة إلى سور القلعة أعلى خشبة المسرح بما تعرضه من رسوم وصور. تدل على عنوان الرقصة وعلى أصل الحركة والنغمة والإيقاع. إنها دعوة من القائمين على عرض «نيران الأناضول» لاكتشاف الأناضول التي على أرضها امتزجت ثقافات وحضارات.

هذه رقصة الدوامة السحرية في داخلها «بروميثيوس» المنوط به إصلاح ما فسد وإعادة النظام إلى الفوضى. أجدني أراه كأنه «مصطفى كمال أتاتورك» يشرع في رقصة نيخة تركيا الحديثة... فمن تراه حقق حلم الأناضول الجريح في حياة أفضل يعم فيها السلام؟

موجات من فتيات تركيا العلمانية في تنوراتهن المنونة القصيرة، يتصدرن مقدمة المسرح إلى الجهة اليمنى. في مقابل موجات من فتيات يرتدين غطاء الرأس ولا يتعثرن في ملابسهن الفضفاضة البيضاء ويتصدرن هن أيضا مقدمة المسرح إلى ناحية اليسار. رقصة هنا تختار لخطواتها الإيقاع المتسارع والنغم الصادح الجبير. ورقصة هناك تلتزم بنسيج نغم صادر عن ناي ودف وصوت منشد ومداح. تصحبه حركة دائرة الألوان التي تشكلها تنورة الدرويش الصوفي المولوي عند دورانه حول محور جسده. معلنا عن رغبته في الصعود إلى عالم الروح في السماء.

هنا على خشبة مسرح محكي القلعة يكاد المشاهد يتعرف إلى تركيا المنقسمة على نفسها: تركيا العلمانية ذات الرداء الأوروبي. التي تنظر إلى الوراء العثماني في غضب. وتتطلع في شبق إلى أوروبا المرحة.

في المقدمة من مجموعة الراقصات الصغيرات الجميلات. فتاة تركية جميلة ذات شعر غجري مرتدية تنورة حريرية قصيرة من صنع امرأة مازالت تمارس الحياكة والنسيج اليدوي في قرية بالأناضول. وصديرية من قطيفة «التابورزا» تشتهر اسطنبول بصنعها. وفي المقدمة

أيضا مجموعة من الراقصين الرجال. فتى يرتدى سترة وبنطلونا من الحرير الإسطنبولى. وفوقهما رداء قطنى أبيض فضفاض من زمن الإمبراطورية العثمانية وقت أن كانت تمتد من المغرب إلى أفغانستان. الجميلة ذات الشعر الغجرى تعلن غضبها على الفتى: ضاربة الأرض بقدميها الصغيرتين مشيرة إلى طربوشه الأحمر. لكن رفيق الرقصة المتألمة القادم من قرى الأناضول يضرب الأرض بقدميه على وقع اللحن الغاضب المتألم.

هذه التركية الجميلة ذات الشعر الغجرى أتراها «أزيادة» الفتاة الشركسية التى رآها الفرنسى «بيير لوتى» الممثل للمستعمر القديم فى الشرق. فى شوارع «سالونيك» وأحبها وأصبحت خليلته التى جعلها عنوان روايته التى وجه فيها نقدا شديدا للمجتمع التركى؟ وهذا التركى الغاضب الجميل. أتراه «ناظم حكمت» الشاعر الثورى التركى المعادى للغرب. والذى يكابد ألم الصراع بين الشرق وطن الروح وبين الغرب المادى؟

❑❑❑

شلالات الضوء الموسيقية

اكاد أتعرف إلى وجه دمشق. من خيوط النغم التى تنسكب داخل روحى. قبل أن ينفتح الستار الأحمر القرمزى لمسرح دار الأوبرا المصرية. مؤذنا ببدء عرض «جوليا دومنا» للفرقة السورية «إنانا للمسرح الراقص». أكاد أتبين فى شلالات الضوء المنسكبة على خلفية المسرح جبل قاسيون الشاهق المتلألئ مثل تاج عروس دمشقية فى ليلة فرح... وعلى وقع نبض الإيقاع الذى نتعرف من خلاله إلى خصائص اللحن الدمشقى. يرد إلى خاطرى نصف بيت من الشعر للشاعر المصرى أحمد شوقى: «وعزّ الشرق أوله دمشق».

الموسيقى التى تمهد للعرض توحى بخرير نهر بردى. وبخفق نسيم هواء بلودان. وبصوت زحام حميم فى أسواق دمشق. وبوجه صبوح لامرأة دمشقية تتحرك أساورها الذهبية فى يديها وهى تضرب على العود بريشة طائر طالما غنى بصحبة عائلة دمشقية فى نزهة سيران تحت ضوء القمر. ينتفض اللحن كنسر يحرك جناحيه قبل أن يشرع فى الطيران إلى الأعالى. حتى أكاد أرى خلف أستار دوائر الضوء التى تتحرك فى خلفية المسرح ثائرا دمشقيا من زمن الانتداب. يتوارى خلف أشجار الغوطة ممسكا بيده بندقية يحييها فى اتجاه جندى فرنسى.

الحركة واللون فى موسيقى العرض هما الدليل الذى يحدد حركات الرقص عند الراوية "يارا عيد". التى تعرف كيف تجعل جسدها يبوح ببعض أسرار التشكيل الكامنة بداخله. والتى تعرف كيف تجعل جسدها يكشف عن روحه التى تعانق أرواحنا من خلال بهجة الرقص. فى الرقصة المنفردة التى تؤديها الراوية. تشير الحركة والإيماءة إلى لغة الجسد. التى تعتمد عليها فرقة إنانا للمسرح الراقص فى تقديم العرض المسرحى الشامل. الذى تتعانق فيه كل وسائل التعبير. من أجل أن تأخذ المشاهد عبر حواسه جميعها إلى رحلة خارج إطار الزمان والمكان. وتطوف به حول نقاط القوة والضعف فى عمق التاريخ السورى المجيد والرحب.

الموسيقى الفرحة تصدح بالغناء فى فضاء مسرح دار الأوبرا المصرية. فيرقص الجسد مبتهجا كعصفور ملون يقفز من فرع شجرة تفاح فى غوطة دمشق إلى آخر. أتراه ذات اللحن الذى تردد صداه داخل نفس الشاعر السورى نزار قبانى وقت أن كان بالأندلس. فهاجه الشوق والحنين إلى وطنه فكتب:

ووجـــــــه دمـــشـــــق
عصفور يخربش فى جوانحنا
يسعض على ستائرنا
ويسقرنا برفق من أصابعنا

وليل دمشق
فل دمشق
دور دمشق
تسكن في خواطرنا
مآذننا.. تغفو على مراكبنا
كأن مآذن الأموي قد زرعت بداخلنا
كأن مشاتل التفاح تعبق في ضمائرنا
كأن الضوء والأحجار
جاءت كلها معنا

الأجساد والقدود الحلبية منتشية على خشبة المسرح. تنثني وتتمايل مع الموشحة الشجية واللحن الصادح والميجانا والعتابا. لكن صوت الغناء القوي الحزين يتردد صداه في قرى الجبال السورية. سرعان ما يشعل الضوء في العيون ويحرك الدماء الحارة في أجساد الراقصين والراقصات.

هذه وجوه من حمص. مدينة خالد بن الوليد سيف الله المسلول. والشاعر ديك الجن. هذه الوجوه الطيبة التي لا تعرف الكذب. أعرفها وتعرفني. إنهم الحمصيون. الصعايدة السوريون. الذين نسمع عنهم كثيرا في النكات الدمشقية. تماما كما صعايدة مصر. الذين لا يجدون أنفسهم إلا في النكات القاهرية. وإنها الأميرة الحمصية الجميلة

جوليا دومنا التي ترعى حلقات العلم والفكر والفن في مدينتها. والتي يقع في فؤاد سبتيموس سفيروس القائد الروماني. فيختارها زوجة له. وتختاره زوجا لها.

هو الحب إذن ولا شيء غيره. يتجسد رقصة ثنائية بطلاها جوليا دومنا البيت بيلوفا وسبتيموس سفيروس منار يوسف. هو الحب الذي تشكله الراقصة كوردة. الذي يرسم في الفراغ تشكيلات تتعانق وتتوحد وتتذوب حلاوة وتضوع عطرا. تميل المرأة الحمصية الجميلة بخدها الناعم على حبيبها الرجل فيزدهر. تماما كما تتمايل زهور سنابل القمحان الحمراء على البساط الأخضر في منطقة الكسب فيزهو ويزدان فخارة.

المرأة الحمصية الجميلة. التي سكب الحسن روحه فيها. فأضحى جسدها في بياض الثلج. ولون عينيها بلون العسل. تتقدم مرتدية ثوب زفافها ونساج العروس. في موكب العرس في صحراء حمص. وبينما العروسان على راقصي باليه يتراشقان القبلات في وضع الأرابيسك. تصدح الألحان الشرقية التي لا تناسب آلات الموسيقى الغربية العداء. وتتوالى لوحات. راقصة تتسم بتوافق بصري تشكيلي بين ألوان الملابس الزاهية من الحرير الدمشقي وتصميماتها غير المفرطة في واقعيتها. وبين حركات الرقص وإيماءاته المعبرة عن الانفعال العاطفي في صورته الخالصة المجردة.

ما سر هذه السعادة التى تسكبها الموسيقى والرقصات فى : واحنا ونتقبلها فى خشوع؟... هل لأن الموسيقى والرقصات تحفزنا على الأحلام. ستبدلين إيقاع حياتنا بإيقاعها الموسيقى سابحين فى بحرها. نعلو ونهبط على أمواجها الأثيرية؟

فى لحظات وداع حمص لابنتها جوليا التى ترافق زوجها القائد الرومانى سبتيموس فى سفره لإنقاذ روما من جيوش الألمان. وفى لحظات استقبال حمص لابنتها عند عودتها إلى الوطن بعد مقتل زوجها. يتجلى الفلكلور السورى فى الرقص والموسيقى والأشعار وألوان الملابس من الحرير الدمشقى ومهرجان الأضواء. إنه الفلكلور السورى يروى نتفا من التاريخ السورى الممتد والرحب.

العرض الموسيقى الراقص كأنه صندوق الدنيا. يبعث الحياة فى أروع ما تختزنه ذاكرتنا من صور ورسوم وحكايات. ويجسد أمام أعيننا فى حال اليقظة كائنات تشبه تلك التى تصورها لنا أحلامنا عن مملكة أوغاريت شمال مدينة اللاذقية. التى قدمت للبشرية أقدم أبجدية يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. كما قدمت أقدم نوتة موسيقية.. وعن الملكة «زنوبيا» وأعمدة وأبراج وصروح وقلاع «تدمر» التى ظلت مستقلة على الرغم من الفتح الرومانى لسورية عام ٦٤ قبل الميلاد. ولم تخضع لروما إلا فى عهد أسرة «سيفير» السورية التى حكمت روما فى الفترة من ١٩٣ إلى ٢٢٢ ميلادية.... وعن «خالد بن الوليد»

الذى خلص تدمر من الحكم الرومانى فى عام ٢٣٣ ميلادية... وعن صلاح الدين الأيوبى

صندوق الدنيا على مسرح دار الأوبرا المصرية. الذى صمم رقصاته وأخرجه جهاد مفلح يبعث الحياة من خلال الموسيقى والرقص والشعر ومهرجان الألوان والأضواء فى صور حميمية تختزنها ذاكرتنا عن سورية التى غنت لها فيروز ابنة جبل لبنان:

حلفتنى أمى يا حاكى حدا
قالتلى أمى اياك العدا
أنت بعشر حدا
ولا انت العدا
انت اللى فى عينى
رابيه من الزهر

فى رقصة الحمام. يرتفع نبض الإيقاع وتصدح الأنغام. وترتفع هامات الراقصين والراقصات حتى تطاول جبل قاسيون الشاهق المتلألئ فى خلفية المسرح. الراقصون والراقصات يدقون بكعوب أقدامهم الأرض الدائمة. وفى الأيدى تلمع نصال الخناجر المشرعة فى الفضاء. فى انتظار طلوع الشمس فى يوم غائم. فى رقصة الختام تلتمع العيون وتشتعل الدماء الحارة فى العروق. وعلى الوجوه ألق الضياء والصمود والإصرار.

شعر الحركة

ما وراء

هذه البهجة التى نستشعرها ونتذوقها فى رقص الباليه؟.. ما سر كل هذا البهاء والجمال الذى يسكبه فن الباليه فى نفوسنا وأرواحنا؟.. هل لأن الرقص منذ نشأة الكون وبداية الخلق كان ضرورة للجسد ثم أصبح ضرورة للروح. فكان أن استخدم الإنسان الرقص فى تمجيد القوى الخارقة للطبيعة بعد أن حمّله شعائر دينية وعبادات؟.. هل لأن الحركة هى التعبير البدائى للحياة. وبالحركة الراقصة والإيماءة العامتة يعبر الجسد عن مكنون نفسه ومخزون روحه. واهبا الإنسان لذة التعرف إلى قوانين الإيقاع الناشئة عن توافق الجسد والحركة؟

فى فن الباليه تمتزج روح الراقص بجسده ويتحدان معا بوشائج الحقيقة الشاعرية. فتصبح حركة الجسد وخطوات الرقص المتآلفة مع نسيج النغم وقوانين الإيقاع تعبيرا صافيا عن دفء العواطف وحرارة الرغبات والغرائز. فن الباليه. حاملا فى ذاته أسرار بهائه وجماله. يمس الجميل والفاضل فى عواطفنا. ويكشف عن قوانين التشكيل ونجليات الشعر فى داخل أجسادنا وأرواحنا جميعا.

الباليه. فكرة غامضة تداعب مخيلة مصمم الرقصات. تلك المخيلة الخصبة المسكونة بعرائس الخيال وحكاياتهن الخرافية. تتشكل فكرة

الباليه الغامضة تلك عند مصمم الرقصات خطوطا ومسودات لوحات على الورق. حتى إذا ما برزت كل لوحة أمام عينى مخيلة مصمم الرقصات حياة ناطقة متحركة. هنا تكون فكرة الباليه قد نضجت. ويكون على مصمم الباليه أن يبادر إلى المؤلف الموسيقى. ويقدم إليه خطوط ومسودات لوحاته. وعندئذ يدور حوار بين مصمم الباليه والمؤلف الموسيقى حول طبيعة المشهد والحركة والإيقاع والتشكيل. ويمتد الحوار بين الصور الجمالية الحية الرشيقة فى مخيلة مصمم الباليه وبين ألوان نغمية وإيقاعية فى طور التكوين فى مخيلة المؤلف الموسيقى. إلى أن يبدأ فى التحقق حالة توافق وانسجام داخل حركة أجساد الراقصين. والمشهد الباطنى. واللحن الموسيقى. والتشكيل البصرى فى معمار الفضاء المسرحى.

تتردد داخل فضاء المعمار المسرحى الكبير بدار الأوبرا المصرية أصوات نغمات متقطعة لآلات موسيقية وترية مختلطة بأصوات نغمات خافتة صادرة عن آلات النفخ الخشبية والنحاسية. تفتقر جميعها إلى نوبة موسيقية تؤلف بينها. بعد اطمئنان كل عازف على ضبط نغمات آلاته الموسيقية على درجات السُلَّم الموسيقى. تتحرك دائرة الضوء لتصاحب قائد الأوركسترا الذى ما إن يبلغ مكانه فى مواجهة العازفين. حتى يتحول بجسده إلى جمهور النظارة من المصريين والأجانب. ليرد على تحيتهم بانحناءة وابتسامة. ثم يعود سريعا. وهو يُمسك بعصا

قيادة الأوركسترا ليواجه عازفيه. والنوتة الموسيقية على الحامل. وستارة المسرح.

بعد المقدمة الموسيقية لباليه «لاسلفيد» أو «الجنية الصغيرة» التى سكبتها فى نفوسنا وفى فضاء المسرح. آلات العازفين. وعصا قائد الأوركسترا «بيتر أرنست لاسين». وأصابعه. ينفتح الستار الأحمر المخملى للمسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية عن فرقة الباليه الملكية الدانمركية. لينقلنا إلى بيت ريفى فى اسكتلندا فى وقت السحر. جنية صغيرة ترقص رقصة منفردة تعلن فيها حبها للشاب «جيمس» الجالس فى مقعد إلى جوار مدفأة مستغرقا فى نومه وحلمه. ترى الجنية الصغيرة راكعة إلى جوار «جيمس» تتأمل قسمات وجهه. وترفرف حوله بجناحيها وتحلق. وتنحنى فوقه لتضع قبلة على جبينه. يهب «جيمس» مستيقظا من حلمه ليطارد الطيف الجميل الذى يراه قد اختفى داخل المدفأة.

هذه «إيفى» الفتاة الجميلة كفراشة ملونة مزركشة بذات لون وزركشة الثياب الإسكتلندية التقليدية. ترقص رقصة منفردة تعبر فيها عن فرحها. فاليوم ستزف إلى خطيبها «جيمس» الذى لم يزل يفكر فى الجنية محدقا فى الموضع الذى اختفى عنده طيفها الجميل. «إيفى» تعاتب «جيمس» فيعتذر لها. ويلثم يدها الرقيقة التى تمدها إليه.

هل الحقيقة الشاعرية الموجودة فى فن الباليه هى الأكثر صدقا من الحقيقة التى نشهدها فى الواقع المعيش؟

الموسيقى تتدخل في اللحظة التي لا يُجدى فيها الكلام – على حد قول الموسيقي الفرنسي «ديبوسي» – كذلك يتدخل الرقص في لحظة الانفعالات القوية العنيفة التي لا يُجدى فيها الكلام أي نفع. وإنه البالية أكثر الفنون تجريدا ورمزية. قادر على أن يجعلنا نرتاد عالم ما وراء الطبيعة فيغدو مفهوما وجليا بعدما استعاد معنى كان يعوزه من التشكيل والموسيقى والشعر.

الساحرة العرافة «مادج» التي تقرأ الكف وترى الطالع. تظهر في المكان نفسه الذي اختفى عنده طيف الحنية لتزيد الاضطراب – الذي أحدثته قدوم الجنية من عالم ما وراء الطبيعة – في شبكة العلاقات والمصالح التي تربط «جيمس» بمجتمعه الاسكتلندي. والتي تصطدم برغبة الجنية في منافسة «ايفي» على قلب «جيمس».

على خلفية الرقصة الجماعية الاسكتلندية البهيجة. يتعانق فيها جمال التشكيل والصور بفرح الراقص على وقع النغم الصادح الجذير والإبقاع النشوان. تتناهى إلى أسماعنا خيوط لحنية حزينة. تصاحب وصول الجنيات من قلب ظلمة الغابة والتفافهن بصاحبتهن وهي تسلم الروح. و«جيمس» يركع إلى جوارها وقد أثقله الحزن. يراقب الجنيات الحزينات حاملات صاحبتهن. وينصرفن صاعدات إلى أعلى الأشجار.

يعزف مزمار القرية الاسكتلندية لحنا سريعا يصاحب رنين الأجراس المرحة. ويطلع من بين الأشجار موكب العروس: حيث يشاهد

«جيرن» منافس «جيمس» وهو يمسك بيد «إيفي» التي ذهب عنها أساها. يرقص «جيمس» رقصة متألقة. إنه الألم الذي يبعثه داخلنا تخلينا عن السعادة الحقة جريا وراء أوهام باطلة.

ساهمت ديكورات ومناظر «مايكل مينباي» بتشكيلاتها الواقعة على حدود ما هو مجرد. وبألوانها الأقرب إلى التأثيرية. في إثارة خيالنا. الذي انطلق سابحا وسط موجات الرقص والموسيقى. يستحث ذاكرتنا البصرية. لكي تستحضر أعذب صور الذكريات. وأجمل قصص الحب.

هل نجح مصمم الرقصات «أوجست بورنتفيل» في أن يجتذب روح الراقصة. ويجعلها تطفو على سطح جسدها الصغير الرشيق؟... هل نجح الرقص في التعبير عن الانفعالات العاطفية في صورتها الخالصة المجردة عن الزمان والمكان على نحو واضح وجلي ولا لبس أو غموض فيه؟... هل امتزجت حركات الرقص بحركات موسيقى «هيرمان لافنسكولد». وعبرتا سويا عن دفقات شعورية داخل جسد الراقصة وروحها. حتى يمكن لمشاهد البالية ان يصفه بأنه شعر الحركة. كما وصفه «إيزادورا دنكن» رائدة الرقص الحديث؟

إن في مقدور مشاهد البالية. في حسب خبرته الجمالية وثقافته ودرجة تذوقه. أن يجيب عن أسئلة عديدة تقفز إلى ذهنه. بعد أن تكون روحه قد اقتربت من رحيق فن البالية. ذلك الفن الذي يتراشق فيه عاشقان القبلات الرقيقات في وضع الأرابيسك. وتبدو فيه خطواتهما

وكأنها تغرد. وتصير فيه حركة جسديهما روحا واحدة. وتغدو فيه روحيهما الواحدة حركة كالشعر..

باليه «لاسلفيد» أو الجنية الصغيرة باليه من فصلين. عرض لأول مرة في مسرح الأكاديمية الملكية للموسيقى في باريس في الرابع عشر من مايو عام ١٨٣٢. وكان قد صمم رقصاته حينذاك فيليب تاليوني. ووضع موسيقاه «جان سينز هوفر». وصمم مناظره «تشيشيري». وصمم ملابسه «أوجين لامي». وعلى اعتبار أن «لاسلفيد» أول الباليهات الرومانسية. فإن تأثيره لم يقف عند حد إلغاء الباليه الأسطوري الذي كان شائعا في القرن الثامن عشر. بل فتح المجال واسعا أمام عالم جديد ومفهوم جديد لفن الباليه.

التوق إلى الطبيعة وحياة البرية

في

العش الهادئ بين أغصان شجر البلوط الضخمة
الحبيبة الأنثى والحبيب الذكر. يجمع بينهما الحب.
ما الذى يشغلك أيها الحبيب؟
سوف لن تتركنى وترحل؟
ثقيل الوطأة على قلب المحب
هو الفراق والمجهول والأخطار
هناك فى البلد الغريب.
لا تبكى. سأعود ومعى حكايا مسلية وقصص كثيرة
سأقصها عليك. وستضحكين لها كثيرا.
الجناح كسير. والرأس إلى أسفل
يعود المهاجر من أقصر طريق إلى الوطن والحبيبة
وإلى شجرة البلوط يلعن حماقته.
أية إحباطات وآلام تحجب عنا الفرح والمسرات؟

«لافونتين»

على مسرح دار الأوبرا الوطنية فى كوفنت جاردن بلندن. قدمت فرقة «سادلرز ويلز» للباليه عرض «زوج الحمام» للموسيقى الفرنسى «أندريه ميساجيه» (١٨٥٣ - ١٩٢٩). ولمصمم الرقصات الإنجليزى

«فريدريك آشتون». عرض باليه «زوج الحمام» لأول مرة على مسرح أوبرا باريس فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٦، وكتب له السيناريو «هنرى وجنيه»، وصمم رقصاته «لوى ميرانست». وأول عرض لهذا الباليه فى كوفنت جاردن بلندن. قدمته فرقة الباليه الملكية «ذى رويال باليه» عام ١٩٦١.

ترتفع الستائر الحمراء القرمزية لمسرح دار الأوبرا الملكية عن رسام شاب يقف متأملا أمام لوحة رسم. الفرشاة فى اليد والألوان إلى جانب الحامل الخشبى. الرسام يلقى بنظراته إلى وجه الحبيبة «الموديل» الجالسة أمامه. تشكل فرشاته الخط المستقيم والمنحنى والمنكسر ومساحات الظل والنور. الموديل فى مقعدها تتململ، لا تقوى على المكوث فى ثبات وسكون.. يثور الرسام ويقذف بالفرشاة بعيدا.

القلق والملل وعدم الرضا، وتوقف الحركة، ورخاوة الزمن ورداءته، والنباتات المتسلقة تسد النوافذ، والنور يختنق، والظل يتسيد المكان... تزداد جهامة الصورة أمام عين الفنان. يتوقف الفنان عن تعاطى الفن الجميل تاركا الساحة للأدعياء. سوق الحب يمتلئ بالتجار والرقيق، ويعلو النشاز على كل النغمات الطيبة وعلى صدق الكلام.

فى رحلة البحث عن الهواء النقى والنبض المتدفق والدم الحار، وعن اقتناص الحركة المتفاعلة المتوترة واللحظة المتوهجة، ليضعهما بفرشاته على سطح اللوحة العبقرية المرتقبة، يفكر الفنان فى الرحيل والهجرة.

إلى النافذة يشخص الفنان ببصره إلى البعيد. الحبيبة تلفت نظره إلى الحمام في البرج القريب من المرسم. تومئ له أن أزواج الحمام سعيدة بالحب الذي يربط بين كل زوج منها. الحبيبان يتمثلان الحمام.. يقلدان سلوكه في الغزل.. يتبزان أكتافهما وذراعيهما.. يضربان بأقدامهما ضربات خفيفة ناعمة في الهواء في انسجام مع موسيقى «ميساجيه» الناعمة المرحة الشجية.

إلى النافذة المغطاة بالنباتات المتسلقة. ينظر الرسام إلى البعيد نظرات حالمة.. تفشل الفتيات صديقات الحبيبة في رقصتين المرحة في إخراج الحبيب من مشاعر اليأس والإحباط التي يتردى فيها.

فجأة تنبعث من الموسيقى نغمات قوية حية وثابة.. الغجر قادمون.. رقصاتهم مفعمة بالحرارة والعفوية والتلقائية. وحركاتهم طليقة نشطة.. نفوسهم مجبولة على الفطرة.. يعيشون في قلب اللحظة الحاضرة.. يعتصرونها ويرتشفونها إلى آخر قطرة.

الفتاة الغجرية ترقص.. تقفز في الهواء.. خطواتها ووقع أقدامها بركان ثائر.. الذراعان. والكتفان. وارتعاشات الصدر النافر. ونداءات الشفاه. وكلام العين والحاجب. وإيماءات الرمش الكاحل. تبعث الحياة وتشعل جذوة الفن في روح الرسام الشاعر.. تتفتح للفتاة الغجرية براعم متوحشة كامنة في نفس الرسام الشاعر.. إنه العشق لحياة البرية والتوق إلى ما في الطبيعة من حس صادق وفطري ووحشي.

الحبيبة الجميلة الرقيقة تبكى.. تتوسل بدموعها.. لكن الحب الكبير الذى جمعهما وحده ليس بقادر على أن يمنع الحبيب من الرحيل إلى عالم أكثر حرارة وتلقائية.

فى المشهد الأول من الفصل الثانى. خيام الغجر منصوبة فى حضن الطبيعة البكر. يرقص المهاجر مع الفتاة الغجرية التى تدنيه منها حينا وتصده وتبعده حينا آخر. زعيم الغجر لا يقبل بوجود الغريب بينهم. والعاصفة على الأبواب. يظلم الجو وتتساقط الأمطار وينسحب الغجر داخل خيامهم.. ولا يجد المهاجر المأوى والملجأ. بعد أن خسر كل ما يملك فى لعب الورق أمام الغجر.

يعود بنا المشهد الثانى من الفصل الثانى إلى المرسم.. الحبيبة متألمة مستوحشة حزينة.. نرنو ببصرها إلى البعيد.. إلى الأرض التى تحمل حبيبها المهاجر.. تنتظر عودته إلى العش.. تصيخ السمع إلى وقع قدمى الحبيب العائد على درجات السلم.

بعد رحلة البحث والاكتشاف. يعود الفنان إلى الوطن والحبيبة.. يعى التناقضات التى كادت أن تودى به. ويدرك سبب الخراب الظاهر فى صوره ورسوماته القديمة، التى تومئ إلى الأصل المنهار الخارب فيه السوس والعفن . إنها العودة الفتية الشابة إذن. فى خطوات واثقة ثابتة. والرأس إلى أعلى.

الحركة على المسرح قوية فى حنان.. والنغمة الأساسية الصادرة من الأوركسترا فرحة، تتناثر من حولها تنويعات لحنية حزينة خافتة..

والموسيقى ترتفع نغماتها العذبة مشيعة فى أجواء المكان عبق الحب وعطره الناجى.. تقترب دائرتا الضوء فى تلاق فريد أخاذ.. الاثنان فى واحد.. الموسيقى. اللغة العذبة تحكى وتحاور وتعلق.. زوج الحمام فى دعة وألفة يقتربان من بعضهما.. يعود الدفء إلى العش المهجور.

يعتبر باليه «زوج الحمام» من أكثر الباليهات سحرا وعذوبة واقترابا من عالم الشعر. وأقربها إلى قلوب محبى فن الباليه. كما يعد من أهم أعمال مصمم الرقصات الإنجليزى «فريدريك آشتون» ذات الطابع الشعرى. عبرت الرقصات - كما أراد لها «آشتون» - عن الطموحات والأحلام والإحباطات التى تمور فى نفوس الشباب الصغير دون إغراق فى العاطفية. وأفصحت كذلك عن مشاعر المحبين فى رقة وشفافية وسمو.

فى تدرج محبب وفى إتقان تام. كشفت راقصة الباليه «ماريوت تيت» عن دخائل وخلجات نفس الحبيبة المرحة ذات الابتسامة الكبيرة. التى تناضل لاسترجاع حبيبها. وأجاد «كارل مايرز» فى رسم دور الشاب الصغير الباحث عن حب أكثر توقدا. وعن الحياة فى بدائيتها وبراءتها الأولى. والذى يعود إلى حبه الأول أكثر فهما وإدراكا لصدقه وحقيقيته وديمومته. كما نجحت رقصاته الفردية فى الكشف عن حالة الصراع داخل نفسه. وعن الغنائية الشعرية المحلقة التى تدخل فى نسيج العرض.

جسدت «مارجريت باربيرى» برقصاتها المتوهجة وتعبيرات وجهها ونظرات عينيها وبالملابس المبهرة الموشاة. حياة الغجر بكل

عنفوانها وبهجتها وعاداتهم وطبائعهم التى لم تهذبها قيود أو أعراف أو قوانين المدن الزائفة. واستطاعت أن تحفظ للخيط الدرامى توتره وتصعيده. كما أثرت العرض وساهمت فى النجاح الكبير الذى حققه. تصميمات الملابس والمناظر لـ «جاكوز دوبونت».

مشهد رقصة الختام الثنائية. والحبيبان يلتقيان بعد فراق. من أجمل مشاهد الباليه وأكثرها توهجا وتألقا وغنائية.. الحبيبان يعيشان فرحة اللقاء.. تترجم الموسيقى كلام الحب.. وفى فضاء خشبة المسرح تحلق الحمامة الأنثى وتحط على المقعد.. من الناحية الأخرى يأتى ذكر الحمام محلقا ليحط إلى جانب أنثاه الحبيبة.

تقول مصممة الرقصات «دوريس همفرى»: «ليس هناك ما يكشف عن داخل الإنسان بوضوح أكثر من الحركة والإيماءة. فمن الممكن للمرء أن يختفى أو يراءى خلف الكلمات. لكن اللحظة التى يتحرك فيها ينكشف أمر المرء وتبدو حقيقته. خبيثة كانت أم نبيلة».

باليه «زوج الحمام» مستوحى من قصيدة شعرية للشاعر الفرنسى لالوننين».

❑❑❑

ما فعله الأمريكى الأفاق لفتاة الجيشا اليابانية

من

مذكرات ضابط فرنسى يدعى «بيير لوكى» كتبها فى مدينة «نجازاكى» اليابانية. فى الفترة من يوليو وحتى سبتمبر عام ١٨٨٥. ونشرت عام ١٨٨٧. أخذ الأمريكى «جون لوثر كنج» فكرة قصته القصيرة «مدام بترفلاى» التى نشرها فى إحدى المجلات الأمريكية. والتى تدور حول محاولة انتحار تقدم عليها فتاة يابانية من نجازاكى.

وفى وقت لاحق. قام الكاتب والمخرج المسرحى الأمريكى «دافيد فيلاسكو» باستغلال الإمكانيات الميلودرامية لقصة «لوثر كنج». محتفظا بجزء كبير من الحوار وحاذفا لبعض التفاصيل غير الضرورية. ثم عرضها لأول مرة فى نيويورك فى ٥ مارس ١٩٠٠. وبعد مرور شهر على عرض مسرحية «مدام بترفلاى» فى نيويورك. عرضت على مسرح «دوق يورك» فى لندن. فى الوقت الذى كان فيه الموسيقى «بوتشينى» يزور العاصمة البريطانية بمناسبة عرض أوبرا «توسكا» له.

لاحظ «بوتشينى» أن مسرحية «مدام بترفلاى» تملك كل المقومات والصفات التى يريدها ويتطلبها فى أوبراه: العاطفية المفرطة والألم الفاجع. ونموذج البطلة الهشة الضعيفة الرقيقة القابلة للكسر. وهو النموذج الذى يوافق مزاجه وطبيعته ونفسيته. وكان أن استأذن

«بوتشيني» كاتبها «لوثر كنج» ومخرجها «فيلاسكو» في تقديمها على المسرح كعمل أوبرالي.. وعندما عرضت أوبرا «مدام بترفلاي» لأول مرة على مسرح «لاسكالا» في ميلانو الإيطالية في ١٧ فبراير ١٩٠٤. قوبلت بالاستهجان. لكن بعد أن أجرى «بوتشيني» تعديلات فيها. وعرضت ثانيا على مسرح «برسكيا» في ٢٨ مايو من نفس العام. لاقت نجاحا كبيرا ظل يلازمها حتى يومنا هذا.

يرتفع ستار مسرح دار الأوبرا الملكية في كوفنت جاردن في لندن عن فرقة الاوبرا الملكية لتقدم أوبرا «مدام بترفلاي» للموسيقي الايطالي «جياكومو بوتشيني».. منزل تطل شرفته على ميناء نجازاكي الاثناث على الطراز الياباني. والزهور والورود في الزوايا والأركان.. «بنكرتون» في حفل زفافه على فتاة نجازاكي «بترفلاي». يستقبل ويحيي مدعويه. ويتحدث إلى صديقه القنصل الأمريكي «شارپلس». مرحوا وفخورا بالطريقة التي يعيش بها حياته. حيث يحرص على اغتنام كل لذة أينما توجد. وفي أي وقت. دون أن يحسب حسابا لنتيجة أو عاقبة.. ومعا. «بنكرتون» و«شارپلس» يحتسيان الشراب في صحة أمريكا إلى الأبد!... ولا ينسى «بنكرتون» أن يتغنى بسحر ورقة وجمال العروس.

ينزعج القنصل للاستخفاف الشديد الذي يأخذ به «بنكرتون» مسألة زواجه. ويحذره من العواقب التي قد تنجم عن كسر جناحين رقيقين

وتحطيم قلب صغير يحب بصدق وعفوية وجنون.. يجيب «بنكرتون» على تحذيرات صديقه بأن يحتسي نخب زفافه الحقيقي إلى المرأة الأمريكية!.

العروس «بترفلاى» تتحدث إلى القنصل. تخبره أنها في الخامسة عشرة من عمرها. وأن حالة الفقر الشديد التي تعيشها أسرتها هي التي اضطرتها الى احتراف الرقص والغناء والتحول إلى فتاة الجيشا.. «بترفلاى».. فرحة ومبتهجة وخجولة. تنتحى بحبيبها «بنكرتون» وتعرض عليه أشياءها الصغيرة الخاصة.. يلاحظ «بنكرتون» من بينها خنجرا تحتفظ به عن والدها.

فجأة يقتحم الحفل «برونز» رجل الدين البوذى. عم «بترفلاى».. الذى يستنكر عقد قرانها على الأمريكى «بنكرتون».. ويصب لعناته عليها لرفضها معتقدات وشرائع وأعراف آبائها وأجدادها.

«بترفلاى».. وحيدة منزوية تبكى.. لكن معسول كلام «بنكرتون» يخفف عنها حزنها ويطيب خاطرها.. والليل يرخى أستاره. يتعانق «بنكرتون» و«بترفلاى».. ويغنيان شعلة حبهما المتوهجة. بينما آلات الأوركسترا تعزف لحن الحب:

أحبك.. هذه الكلمة الملهمة
لا ينكرها إنسان يحب
الحب.. هذه الكلمة التى تعرفها الآلهة
هى الحياة فى عطائها السخى

ثلاث سنوات. منذ أن غادر «بنكرتون» «بترفلاى». وهى تحفظ له كل الحب. وتؤمن أنه سيحقق وعده لها بالعودة عندما تغرد العصافير فى أعشاشها فى فصل الربيع.

ينتهى الفصل الأول. ليبدأ المشهد الأول فى الفصل الثانى.. «بترفلاى» واقفة بغير حراك. ساهمة الطرف. سادرة فى أحلامها.. «سوزوكى» وصيفتها. تصلى أمام صورة الإله «بوذا» من أجل «بترفلاى» التى تصف فى حلم يقظتها قدوم «بنكرتون» على سفينة تقترب رويدا رويدا من الشاطئ فاتحا ذراعيه لعناقها.. وتغنى «بترفلاى» الحلم الجميل.

«بترفلاى» المحبة العاشقة. لا تريد إلا أن تسمع عن قرب عودة حبيبها. وتفشل كل محاولات القنصل إخبارها بالخبر الفاجع.. خبر زواج «بنكرتون» من أمريكية.. «بترفلاى» فى الشرفة إلى جوار طفلها من «بنكرتون». تظل واقفة تنظر إلى البعيد. فى انتظار السفينة «ابراهام لنكولن» تدخل المياه الإقليمية اليابانية وعلى متنها «بنكرتون».. لكن الشمس الحمراء القانية بلون الدم تختفى فى المياه الزرقاء. والليل يفرد خيمته السوداء على الكون.

ترتفع ستائر المسرح عن المشهد الثانى فى الفصل الثانى والأخير.. السماء رمادية محملة بغمام أسود كثيف. والشمس تنسج من جديد أول شعاع لها يبين عند الأفق.. و«بترفلاى» فى الشرفة غارقة فى تأملاتها.

طرقات على الباب.. القلب الصغير يكاد يقفز.. لكن «بترفلاى» لا ترى غير القنصل و «كات» الأمريكية الملامح والقسمات.. فى صمت متألم تدرك بترفلاى» الحقيقة الفاجعة.. بصوت هادئ عميق تبدى موافقتها على التخلى عن طفلها لـ «بنكرتون».. تدخل حجرتها المظلمة.. تنحنى أمام صورة «بوذا» وتصلى صلاة صامتة.. تخرج خنجر والدها من غمده.. تقرأ الكلمات المكتوبة عليه: «إذا لم يكن فى استطاعتك العيش فى شرف.. فالموت إذن فى شرف».

تهدهد «بترفلاى» طفلها وتلاعبه وتغنى له. وفى حنان تضعه فى مهده.. تمسك بالخنجر وتطعن به عنقها.. تسقط على الأرض ميتة.. تعلو أصوات آلات الأوركسترا غاضبة وقوية ومتألمة. وتعزف لحن الحب المهزوم.. وتنسدل الستائر الحمراء القرمزية لدار الأوبرا الملكية.

تحمل موسيقى «بوتشينى» إمكانيات وطاقات درامية هائلة. لكن عدم اهتمامه بدراسة الشخصية ونموها وتطورها من الناحية النفسية. وبالتعرف إلى دخائلها الدقيقة. كان سببا فى إضعاف الأثر الذى تتركه موسيقاه فى النفوس. وتجعلنا نضعه فى الترتيب. بالقياس إلى عمالقة الموسيقى. بعد «موتسارت» و«فيردى» و«شتراوس» و«فاجنر». من حيث الموضوع المتناول. ودراسة الشخصيات. والعمق الموسيقى ذى المستويات المتعددة.

يحوى الموسيقى «بوتشينى» بين جوانحه عواطف جياشة ومشاعر فياضة. وانفعالات جامحة. لا تخدم البناء الهيكلى للأوبرا.

ففى أوبراتـــه يتفوق القلب دائما على العقـــل. وهى الصفة التى لازمته طويـــلا. إلا أنه تغلب عليها بعض الشـــىء فى أوبراته المتأخرة. حيث اهتم برســـم الشـــخصيات الدرامية وخاصة النسائية. الأمر الذى جعله أكثر اقترابا من المسرح وخاصة التراجيدى منه.

أدت السوبرانو البلغارية «ريتا بيفانسكا» دور «بترفلاى» المرأة التى تتخذ قرارها بمفردها. والتى على اســـتعداد لتقبل المصير الذى اختارته لنفسها. وأكدت موهبتها كمغنية أوبرا وممثلة مسرحية. وكان حضورها على المســـرح قويـــا. إلا إنها لم تتمكن فى الفصـــل الأول من أن نوصل لنا ملامح شـــخصية فتاة الجيشا. العروس الصغيرة الخجولة البشة. الأمر الذى أفقدنا الإحساس بالتدرج اللازم لنمو وتصعيد الخط النفسى لشخصية «بترفلاى». من الرقة والضعف إلى القوة والقدرة على الفعل.

وفـــى دور «بنكرتـــون». أكثر «دينـــس أونيل» من المـــرح والابتهاج. ولم يتمثل جيدا صورة الأمريكى البحار الأفاق. الذى لا يستقر فى مكان. ولا يحافظ على وعد. ويغتنم كل لذة ومتعة مهما تكن النتائج. وقد أجاد كل من «ليو دونش» فى دور القنصل و«جوزفين فيزى» فى دور «سوزوكى».

أخرج العرض «آندى اندرسون» دون أن يكشف لنا عن كل الإمكانيات الدرامية للأوبرا كما أرادها «بوتشينى». ولقد عاب الحركة على المسرح البطء والتثاقل والتكلف الشـــديد التـــى كانت تتصف به الأوبرا قديما. والذى لا يتوافق مع حياتنا اليومية والعلاقات الإنسانية المعاصرة.

الديكورات والمناظر هى نفسها التى صممها صوفى فيدوروفنا منذ عقود. لكنها تنقل لنا فى جمال أجواء الحياة اليابانية. ومشاهد الغروب وتساقط الشمس فى مياه البحر عند خط الأفق. وحلول الظلام. ثم والشمس تشرق من جديد.

كان لسماع «بوتشينى» ومشاهدته أوبرا «عايدة» للموسيقى الإيطالى «فيردى» فى إيطاليا عام ١٨٧٦. أن تفتحت عيناه على عالم جديد مبهر هو الأوبرا. وأدرك منذ تلك اللحظة أن الأوبرا ولا شىء غيرها هو ما يحب أن يكرس حياته من أجلها.. تمرد على مستقبله المحدد والمعروف مسبقا كعازف أورغن فى كاتدرائية سان مارتينو مثل كل أفراد أسرته الموسيقية. وذهب إلى «ميلانو» حيث مسرح «لاسكالا» الشهير. كعبة موسيقى الأوبرا. والتحق بكنسرفتوار ميلانو عام ١٨٨٠.

❑❑❑

العصفور النارى

العصفور

النـارى. يمرق بـين الأغصـان وأوراق الشـجر.. حفيف حناحيـه المتألقين يشـيع فـى الغابة المظلمة جـوا يبعث علـى الفرح والأمـل.. صرخات وأنين ونواح وأصـوات غضب مكتوم. تصدر من أعماق الغابة.. أوراق الشـجر من فوق الأغصان ساكنة وليس من ثمة نسـمة في الهواء.. السـجناء والمعذبون فى انتظار المخلص.. الشجرة المقدسة. التى تحتوى فى داخلها السر. تعطى نفسها وسرها للقادم النبيل والشجاع.

على مسـرح دار الأوبرا الملكية فى كوفنت جاردن بلندن. قدمت فرقة الباليـه الملكيـة «ذى رويال» باليه عـرض العصفور النارى. موسـيقى «ايجورسترافنسكى» عن قصة من الفلكلور الروسى. كتبها وصمم رقصاتها «ميشـيل فوكين» الراقص. ومصمم الرقصات المبـدع. وأحد الرواد العظام لفـن الباليـه فى القـرن العشـرين. والذى قـدم بالينهات عديـدة منها: «حلم ليلة صيف». «لى سـلفيد». «كليوباترا». «شـهرزاد». «بتروشكا». أضاف «ميشيل فوكين» عنصر التعبير فى الرقص إلى فن الباليه. وجعل من الرقص انعكاسـا لنفسية الراقص. ولم يتدن بفن الباليه إلى مجرد حركات بهلوانية ورياضية. وأكد على أن تستوحى الموسيقى نفس الطابع التعبيرى للرقصات للتعبير عن المشاعر والعواطف التى توحى بها حركات الراقص.

باليـه «العصفور النـارى». قدمته فرقة «دياجيليـف للبالية لأول مرة على مسـرح دار أوبرا باريس فى ٢٥ يونيه ١٩١٠. صمم الديكورات والملابس «الكسندر جولوفين». وقامت «تامارا كارسافينا» بدور «العصفور النارى». و«ميشـيل فوكين» قام بدور «إيفان تسـاريفيتش». وفى ذكرى مرور خمسـة وعشرين عاما على وفاة «ديا جيليف». قدمت فرقة الباليه الملكيـة «العصفور النارى» على مسـرح «أمباير» فى إدنبره باسـكتلندا فى ٢٣ أغسـطس ١٩٥٤. وفى هذا العـرض قامت «مارجو فونتين» بدور العصفور النارى. وقام «ميشيل سومز» بدور «إيفان». و«فريدريك آشتون» بدور الساحر «كوتسيش». و«سفيتلافا بيريوسوفا» بدور «تساريفنا».

تبدأ الأوركسـترا العزف بافتتاحية تشـترك فيها مجموعة الآلات الوترية والنحاسـية والإيقاعيـة وآلات النفخ الخشـبية. ينقلنا فيها «سترافنسـكى» إلى جو سحرى تشـيع فيه نغمات هى مزيج من أصوات بشـرية.. أنين. وحشـرجات. وعويل. وصيحـات ألم. ووقع أقدام. ونداءات غامضة تختلط بأصوات كأنها صادرة من عالم آخر.. إلى جانب خشخشات أوراق شـجر. وخرير مياه. وهزيم رعد. ورفرفات خافتة لجناحى طائر يعلو حفيفها بالتدريج وتزداد وضوحا وقوة.

يرتفع السـتار عن غابة يلفها الظلام من كل جانب. تتوسـط المسرح شجرة تفاح تتألق بالضوء والوهج ومحملة بالثمار. من بين أوراق وأغصان الشـجر يظهر طائر ذو جناحين فى لون البرتقال الأقرب إلى الاحمرار.

الطائر الناري يرقص على نغمات المتتابعة الأولى التي تتناثر من مختلف آلات الاوركسترا. تلك النغمات القصيرة المنطلقة المتوهجة.

في بطن المسرح حيث يغيم الضوء. «إيفان تساريفتش» في لباس أسود. يتسلق الجدار.. يقفز إلى منطقة الظلال. ويشد قوسه مصوبا سهمه في اتجاه الطائر. تنقلات الطائر وحركته الراقصة السريعة الخاطفة تفشل محاولات «إيفان» لاصطياده. لكنه ينجح أخيرا في الامساك به. الطائر محاولا الخلاص يقاوم إلى أن تخور قواه. ومن ثم يعرض على «إيفان» في مقابل إطلاق سراحه ريشة من جناحه. إذا هو لوح بها فسوف يخف الطائر إلى نجدته وتقديم المساعدة له. يقبل «إيفان» العرض ويطلق سراح الطائر.

تزداد الإضاءة على المسرح. فيكون في الإمكان مشاهدة سياج بين الأشجار يتنهي ببوابتين يختفي ما خلفهما في الظل. في اللحظة التي يغادر فيها «إيفان» المكان. تنبعث نغمات المتتابعة الثانية. اللحن الاساسي على آلة الأبوا حزين وهادئ، يصحبه ظهور اثنتي عشرة فتاة يهبطن على درجات السلم. يدخلن من البوابتين متجهات إلى الشجرة. تنضم إلى الفتيات فتاة أخرى تدل هيئتها على مكانتها السامية بينهن. يقف «إيفان» في الظل ليشاهدهن وهن يتراشقن فيما بينهن الثمار الذهبية لشجرة التفاح.. والموسيقى حائرة مترددة تصور حيرتهن في الأسر ورغبتهن في الانعتاق والخلاص.

يخـرج «إيفـان» إلى دائرة الضـوء. نازعا غطاء السراس، ويظهر تحية للفتيات. فتحذره رئيسـتين تسـاريفنا» من مواجهة على أرض الساحر الشرير كوتسيش». وتطلب منه الابتعاد والنجاة بنفسه. لكن «إيفان» يكون قد تدله في حب «تساريفنا» ولا رغبة له إلا في البقاء إلى جوار من ملكت عليه قلبه. «إيفان» و«تساريفنا» يرقصان حبيبا الوليد. يشاركهما الرقص الفتيات الأخريات.

نغمات المتتابعة الثالثة عالية متنافرة. الساحر الشرير وأعوانه يظهرون ويطبقون على «إيفان». الشرير «كوتسيش» يحاول أن يبطل سحره في «إيفان» ليحوله إلى حجر ضمن حجارة القصر الكبير. وينتزع «إيفان» الطائر الناري والريشة الذهبية التي يلوح بها في وجه الساحر. يجيء الطائر الناري ويقود رقصة مجنونة. إيقاعاتها صاخبة. ينهك بها قوى الساحر وأعوانه.

على الأنغام الرتيبة الهادئة التي تتكون منها المتتابعة الرابعة يكون الطائر الناري قد جلب النوم العميق إلى الساحر وأعوانه. الطائر الناري يدل «إيفان» على شجرة في جوفها علبة تحوي بيضة الموت. وإذا يشاهد الساحر العلبة في يدي «إيفان» يتملكه الهلع والخوف. ويحاول يائسا اختطاف البيضة التي تضم روحه. يقذف «إيفان» بالبيضة إلى أعلى فتنزل مرتطمة بالأرض. يموت الساحر على الفور ويختفي أعوانه. يضاء المسرح ويعود الطائر الناري من حيث جاء.

الوتريات وآلات النفخ الخشبية تعزف المتتابعة الخامسة والأخيرة. الفتيات والشباب بعد تحررهم من الأسر وسحر الساحر. يرقصون جميعا فرحين بالخلاص.. يتوجون «إيفان» و«تساريفنا» ملكا وملكة عليهم.

استطاع «ميشيل فوكين» مصمم الرقصات أن يحقق تصوراته وأفكاره في باليه الطائر النارى. ويخلق الانسجام بين خطوط الديكور وألوان الملابس والتشكيلات الحركية. وبين جو القصة وطبيعة ومزاج الشخصيات. جو من السحر والغموض يلف موسيقى الباليه وديكوراته ورقصاته.

ترجع أهمية باليه «الطائر النارى» لدلالته على طبيعة الثورة في فن الباليه الروسي. ثورة ليست فقط في تصميم الرقصات والمناظر والديكورات. ولكن في كل العناصر المكونة للباليه.

❑❑❑

الموسيقى تثأر للشرف العزيز

في البرية. حيث لا وسيط لغوى يفصل بين أفراد العائلة الكونية الواحدة. تعزف الحياة معزوفتها الخالدة. عبر مجموعة المنشدين: الإنسان. وطائر البحر. وحيوان البر. وأصوات الطبيعة العذراء. ويغنون جميعا اللغة الفاضلة. الموسيقى.. وفى دار الأوبرا. تبث فينا آلات الأوركسترا صوت الموسيقى المصاحب بذبذبات صوتية مدربة. ينطق بها الصوت الأوبرالى البشرى العظيم. أيا كانت لغته.

على مسرح الجمهورية بالقاهرة. قدمت أوبرا القاهرة. بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال الأوبرا. عرضا لأوبرا «الشرف الريفى» كافاليريا روستيكانا للموسيقى الإيطالى «بيترو ماسكانى» (١٨٦٣- ١٩٤٥). التى كتبها فى فصلين. ثم ربط بينهما بفاصل أوركسترالى «انترمتزو». وقدمت لأول مرة فى روما فى ١٧ مايو ١٨٩٠.

إذا كانت أوبرا «كارمن» قد مهدت الطريق أمام أوبرات تتخذ أسلوب مطابقة الواقع فى المعالجة. فإن هذا الأسلوب يبرز بشكل واضح فى أوبرات «ماسكانى». خاصة أوبرا الشرف الريفى. حيث الحدث عادى وبسيط. ويتكرر فى الحياة كل يوم. ويتعرض لتقلبات الإنسان ومباذله وشروره فى عالم واقعى غير متخيل.

تبدأ الأوركسترا في العزف. تمهد للأوبرا وتقدم لنا في لحن ديني هادئ ورقيق.. يقوى الإيقاع ويعلو النغم ليصل إلى أقصى الحدة وذروة العلو. ثم يخفت ويذوب النسيج اللحني في نغم شجي عذب.. اللحن العذبي المثير لجزيرة صقلية يتحول إلى موسيقى متضرعة متوسلة. تخفت شيئاً فشيئاً إلى أن تمتزج باللحن الديني الهادئ الرقيق.

المسرح في إحدى قرى جزيرة صقلية جنوبي إيطاليا.. إلى يسار المسرح حانة تملكها العجوز «لوتشيا» والدة «توريدو».. في الواجهة كنيسة القرية. ومن خلفها وإلى جانبها بيوت وأزقة.

الأضواء الأولى للفجر في يوم عيد الفصح.. القرويون يتبادلون التحيات والأمنيات الطيبة.. النساء والفتيات الصغيرات يغنين للخير في الصباح الجديد والسعادة في يوم العيد.. والرجال يغنون فرحهم بيوم البيتيج الذي يتخففون فيه من كد العمل ولهاث الجري وراء لقمة العيش.. والأوركسترا تعزف موسيقى ريفية عذبة.

في العيد.. ترق المشاعر وتهدأ الأنفس. ويجد الخير والحب والجمال نسيم متنفساً ومتسعاً في الفضاء الموسيقي. الذي يتوحد فيه الشتات. ويعود للكون فيه تناغمه وانسجامه. لكن النسيج الموسيقي يختلف والمواقف يحدث له ما يجعل خيوط النغم تتعقد وتفقد نعومتها وسلاستها. تماماً كما البحر الذي يتلقف حجراً. فيتوقف النظام المؤقت عن انسجامه. ويصير إلى التحول والتغير.

«سانتوزا» تكلم السماء ونجمة الصباح.. الخطوات مضطربة قلقة. والوجه متألم. والذراعان كما أذرع الغريق تضطرب وتضرب فى الهواء طلبا للنجاة.

«توريدو». الذى يحنث بالقسم. ويخون العهد الذى قطعه على نفسه أن يظل وفيا لحبيبته «سانتوزا». وينجرها إلى أخرى.. لا يقابلها فى ميدان السوق. يرفض توسلاتها أن يرجع إليها، ولا يأبه بالحب الكبير الذى تحمله له.. يستهين بمشاعرها. ويسخر من تهديدها له بإخبار الحوذى «الفيو» عن العلاقة الآثمة التى تربط بين زوجته وبينه.

إنه «توريدو». الذى تنفتح له الأبواب على مصراعيها. وتقصر الطرق أمامه. ويقطع مشوار الحياة فى سهولة ويسر دونما عوائق أو عقبات. ولا ينظر إلى آخرين أكثر براءة وصدقا يسقطون فى معركة الحياة اليومية صرعى براءتهم وصدقهم.

وإنها «سانتوزا». الأكثر براءة وطهرا. راكعة على درج الكنيسة باكية متضرعة. يتركها «توريدو» ليدخل الكنيسة التى تفتح بابها أمامه. بعد أن أغلقته فى وجهها. على أثر توقيع عقوبة الحرمان الكنسى عليها.

كان لابد إذن أن يثور الغضب داخل المرأة المحبة العاشقة. وأن تفتح عينيها. بعد أن ظلتا مغمضتين بفعل الحب. على كرامتها المهانة. وأن تكتشف قدر الهوان الذى لحق بها من الحبيب.. وكان على الموسيقى أن تشاطرها مشاعر الغضب والغيرة والحنق.

والحوذى الطيب «الفيو». الريفى. السعيد بحياته الهادئة وزوجته التى يسكن إليها بعد تعب يوم مرهق مثقل بالعمل. لأنه صديق للحياة. ولأن الطهارة والصدق عنده هما القاعدة الجميلة. والخيانة هى الاستثناء القبيح. يصدق بسهولة حقيقة علاقة زوجته «لولا» بـ «توريدو».. الوجه منكس والنظرات تنحدر على الأرض بالرغم من النفس الكبيرة والروح القوية العالية.. يقسم «الفيو» على الثأر للشرف العزيز والعرض الغالى.

تتساءل آلات الأوركسترا: ذلك الريفى الطيب. ابن الجنوب الإيطالى. حيث الشمس الساخنة تحرق صفحة الوجه. وحيث أجساد الرجال تمور بالدماء الحارة.. هل فى مقدوره أن يعفو عن ابن الشمال «توريدو». الذى يسفح ماء وجهه طالبا الصفح والغفران؟.. هل يملك الريفى الجنوبى من أمر نفسه الداخلية وطلبها للثأر الجميل شيئا لما يرى الشرف يلوث والعرض ينتهك أمام سمع وبصر الموسيقى. وهى الفاضلة. وهو العفيف الأمين؟.. لا ترق الموسيقى ولا يرق قلب «الفيو» أمام توسلات «توريدو».. وتدوى صرخات الآلات الوترية معلنة عن مصرع «توريدو» وعن ثأر «الفيو» للشرف العزيز الغالى.

كشفت لنا مشاهد الأوبرا وموسيقاها لحظات الضعف الإنسانى التى تجتاح الإنسان عندما يتهدده الخطر. ويكون عليه أن يواجه الموقف العصيب.. نراه ضعيفا ليس الذى عرفناه من قبل. ويسقط القناع. وتتعرى النفس وتظهر على حقيقتها وضعفها.

غناء الكورال كان قويا وجميلا. خاصة في مشهد الخروج من الكنيسة والجمع يشرب النبيذ فرحا بالعيد.. لكن عندما انقلب الجو البهيج إلى لحن الثأر والانتقام. افتقدت مجموعة الكورال جماليات حركتها على المسرح وبدا عليها عدم التناسق وعدم الانسجام.

❑❑❑

الغناء بالصورة

ما يشغل أذهان القائمين على دور الأوبرا فى العالم حاليا. هو البحث عن حل أكثر ديمقراطية. بحيث تصل الأعمال الأوبرالية العظيمة لكبار الموسيقيين العالميين إلى كل الناس. وألا يكون فن الأوبرا مقصورا على طبقة دون أخرى. وبالفعل تم التوصل إلى هذا الحل فى ميرجانات الموسيقى التى تقام فى لندن وغيرها من العواصم الأوروبية. وتخصص قاعات للسينما لعرض أفلام مأخوذة عن أوبرات عالمية. منها فيلم «دون جيوفانى» المأخوذ عن أوبرا «دون جيوفانى» للموسيقار النمساوى العظيم «موتسارت».

صاحب فكرة تحويل أوبرا دون جيوفانى إلى فيلم سينمائى هو «رولف ليبرمان» الموسيقى السويسرى الأصل. أثناء توليه فى سبعينيات القرن الماضى إدارة أوبرا مدينة هامبورج. وهى الفترة التى قام خلالها بتحويل عدة أوبرات إلى أفلام سينمائية بتصويرها مباشرة من دار الأوبرا باستخدام نفس المغنيين والمجاميع ونفس خشبة المسرح.

كانت فكرة «رولف ليبرمان» التى عرضها على المخرج السينمائى «جوزيف لوزى». هى تصوير أوبرا «دون جيوفانى» فى فيلم سينمائى فى مواقعها الحقيقية وباستخدام لغة السينما والإمكانيات الكبيرة للصوت والصورة للوصول بالفيلم إلى شكل من أشكال الدراما الموسيقية الراقية.

المعروف أنه بعد النجاح الكبير الذى لقيته أوبرا «زواج فيجارو» للموسيقى موتسارت عند تقديمها لأول مرة فى فيينا عام ١٧٨٦م وبعدها فى «براج». قام مدير أوبرا براج بتكليف موتسارت بعمل أوبرا أخرى جديدة. وكان أن اختار موتسارت للأوبرا الجديدة قصة «دون جوان» التى كانت شهيرة جدا فى ذلك الوقت. وبدأ العمل فى أوبرا «دون جيوفانى» التى كتب كلماتها «دابونت» فى يوليو عام ١٧٨٧م. وقدمت على مسرح أوبرا براج فى أول عرض لها بقيادة موتسارت نفسه فى ٢٩ أكتوبر ١٧٨٧م.

فى المشهد الافتتاحى للفيلم الأوبرا. يحل «دون جيوفانى» عن طريق البحر إلى معنع الزجاج الذى يملكه. ويتبادل هو و«أنادونا» النظرات. وتبدأ الأحداث فى ظلام الليل فى القاعة الفسيحة بمنزل الكومنداتور. حيث يسير «ليبوريللو» خادم «دون جيوفانى» إلى الأمام وإلى الخلف فى صبر نافد.. وفجأة تحدث جلبة شديدة وأصوات حادة. ويتكشف لنا بعدها أن «دون جيوفانى» باستخدامه واحدة من حيله المفضلة لديه استطاع الدخول إلى مخدع «أنادونا» ابنة «الكومنداتور» متسترا بالظلام فى محاولة منه للنيل منها.. تصرخ «أنادونا». يظهر «الكومنداتور» شاهرا سيفه للانتقام لشرف ابنته. فيلقى مصرعه بسيف «دون جيوفانى».. وتظهر «أنادونا» إلى جوار خطيبها «دون أوتافيو» وسط الخدم. ويكتشفان مقتل الكومنداتور فيقسمان على الانتقام من القاتل.

مرة أخرى يحاول «دون جيوفانى» التغرير بالقروية الساذجة «زرلينا» فى ليلة عقد قرانها على «ماسينو». وتفشل «أناالفيرا» زوجة دون جيوفانى» فى كشف أكاذيبه. بسبب خضوع «زرلينا» له ولقدرة دون جيوفانى» الكبيرة على الخداع والتضليل.. ويظهر «دون جيوفانى» ضاحكا ساخرا يسير على الأرض مرحا ومختالا ومعجبا بوسامته وفحولته. ومحتفظا بأعصابه وهدوئه فى كل الأوقات.. ويغنى: «العالم من حولى ينهار، ولا شىء يمكن أن يجلب لى السقوط».

«أنادونا» فى ملابس الحداد وخطيبها «دون أوتافيو» يسألان «دون جيوفانى» مساعدتهما فى الانتقام من القاتل. وعندئذ يبتسم «دون جيوفانى» ويظهر باله. وينصرف إلى غزواته النسائية لا يعبأ بأى شىء. حتى إنه يلتقى «ماسينو» حبيب «زرلينا» ويوسعه ضربا.. وتمتلئ قائمة «دون جيوفانى» بأسماء من غرر بهن وأفسدهن من الفتيات الصغيرات والقرويات الساذجات.

أثناء الاحتفال الكبير الذى يقيمه «دون جيوفانى» فى القرية. ينحرك تمثال «الكومندانور» متجها نحوه موجها حديثه إليه: سوف تغيض ضحكاتك قبل طلوع الفجر. لكن «دون جيوفانى» هادئا ضاحكا ورابط الجأش يدعوه إلى العشاء معه.. وعندما يضع «دون جيوفانى» يده فى يد التمثال. يظهر شحوب الموت على وجه دون جيوفانى ويسقط ميتا.

يلقى دون جيوفانى حتفه. فتزف الفتيات إلى الفتيان. ويقوم العشاق بنحت أسمائهم على جذوع الأشجار. وترتدى «أنادونا»

رداءها الأبيض. وتزقزق العصافير وترفرف بأجنحتها حولها. وهي في طريقها إلى الدير لكي تقضي بقية عمرها فيه. ويسعى ليبوريللو الخادم في الأرض بحثا عن الرزق عند صاحب عمل أقل شرورا وأكثر تقوى من «دون جيوفاني».

بالطبع لم يحمل المخرج «جوزيف لوزي» كاميرته إلى دار الأوبرا ليصور ويسجل ما يدور على خشبة المسرح من أحداث. وإنما أتى بالمغنيين وبالمجاميع من البشر إلى المواقع الحقيقية للحدث. وحركهم وجعلهم ينسجون ويبنون الأحداث من جديد ويصعدون بنا إلى ذروتها الدرامية.. وكان هذا من أسباب نجاح تجربة تحويل الأوبرا إلى فيلم سينمائي. هذه التجربة التي اعتمدت إنتاج فيلم مأخوذ عن أوبرا باستخدام مفردات اللغة السينمائية. وليس إنتاج فيلم يصور ويسجل ما يدور على خشبة مسرح دار الأوبرا.

مشكلات درامية واجهت أوبرا «دون جيوفاني» عند تحويلها إلى فيلم سينمائي. كان من الممكن أن تجد حلا لبعضها. فلو قام المخرج بتوظيف عناصر الطبيعة الغنية بالشجر والطيور والبحر والأمواج والسماء والجبال والتلال والمراعي والريح والعاصفة وتفتح الزهر وحركة الحيوانات. ولو قام بإدارة حوار بينها بالصور. لكان قد نجح في إضفاء أبعاد درامية جديدة على الفيلم. وفي انتشاله من رتابة وتكرار اللقطات التي تتتابع على وجوه المغنيين.

على طول شريط الفيلم نستمع إلى صوت الإنسان. المايسترو الذى يقود النغمة المتكلمة. حين تعلو وتخفت. وتغلظ وترق. وتتبدج بالبكاء وتزغرد بالفرح. وحين تتقاسم كل من النغمة والكلمة الرقة والعذوبة والحدة والعنف والحزن الشفيف والفرح المتوهج.

موسيقى موتسارت. بعاطفيتها الحادة وغنائيتها الشجية وفهمها لنوازع وأهواء النفس الإنسانية. تتجول داخلنا. تضمد جرحا. وتلمس وترا. وتبعث فى القلوب المحطمة أملا.

❑❑❑

البحث عن العاشق العظيم

قائد أوركسترا القاهرة السيمفونى «إيفان فيليف» بإشارة من يده يتدفق شلال النغم لينساب فى فضاء المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية... إنه صوت موسيقى تشايكوفسكى فى افتتاحية باليه بحيرة البجع. هذا الباليه الذى لا يزال يدخل البهجة فى النفوس بموسيقاه ورقصاته وديكوراته وملابسه. منذ عرضه الأول على مسرح البولشوى بموسكو فى ٤ مارس ١٨٧٧ وحتى الآن.

جمل لحنية ملونة. تتسلل إلى عمق أرواحنا المجهدة بفعل شرور يومنا المتلئ بالصراع... إنها نغمات شفيفة نقية لآلة الهارب تجلب سلاما ورحمة للقلب... وهى جراح الوتر المشدود فى آلة الكمان تنسكب فى فضاء المشهد. لكن أى مهرب للصوت الأبيض كما صوت خرير جدول من خيانات الألوان. ومن أصوات صدئة تتشح بالسواد والعتمة؟

ينفتح الستار على تشكيل بصرى وسمعى. عناصره رقص ومناظر وأضواء وصور موسيقية... هذا احتفال راقص. وجميلات فى بستان مزهر وموسيقى... ساحة تمتلئ بشباب صغير يمرح ويراقص الفتيات. بينهم الأمير «سيجفريد». يحتفل معهم بآخر يوم له يقضيه مستمتعا بحريته كاملة. ففى الغد عليه أن يتسلم مسئوليات الحكم من أمه الملكة. وأن يختار إحدى الأميرات لتكون زوجا له.

دعـوة للفرح وربما للحب. لكن قلب «سيجفريد» لم يستمع بعد إلى لحنه الأثير... في وحدته يشاهد سربا من البجع ينسل على سطح البحيرة... يتبعه داخل الغابة حيث يتحولن إلى صورتهن الإنسانية... تلتقي عينا «سيجفريد» بعيني واحدة منهن «أوديت» فيتعلق بها قلبه وتبادله الحب.

إنها الكتابة والرسم بالجسد. هو ما نقرأه ونتأمله داخل المشهد الموسيقي الراقص... فمن يفكر بأن لغة الموسيقى والرسم يمكن أن تتكشف عن بذرة صراع وشر؟

الأزرق في مياه البحيرة وفي سماء الغيوم. والأبيض بلون الفضة في القمر كامل الاستدارة... ولحن أغنية حزينة يتردد صداه في فضاء البحيرة. فلا يملك «سيجفريد» من نفسه شيئا إلا أن يتبع نداء اللحن الحزين الأسيان.

عند الخيوط الأولى للفجر. «أوديت» ورفيقاتها تحت سلطان سحر الساحر. لابد لهن من التحول إلى بجع مرة أخرى... وليس في استطاعة شيء غير الحب الصادق أن يعيد «أوديت» وزميلاتها من البجع إلى صورتهن البشرية.. فهل الحب الصادق النقي من غير سوء. هو ما يحمله «سيجفريد» إلى «أوديت». فيستطيع به أن يخلصها من سحر الساحر الشرير؟

موسيقى تشايكوفسكي التي تعزفها آلات الأوركسترا. تصاحب حركات الرقص وخطوطه التي صممها «بيتيبا»... هل تريد محاكاة

جمال شكل حركة الرقص. أم أن على حركة الرقص المرسومة فى المشهد أن تحاكى خطوط اللحن الصادح كعصفور ملون غرد؟

على الإيقاع الموسيقى. ترتكز الحركة وتتوحد معه وتمتزج به... وعبر نسيج اللحن الذى يرق ويشف. يتقدم الجسد. ليفصح عن أفراحه المشوقة بالحرية والعدل وصدق الحب.

ولما كان «سيجفريد» قد أقسم «لأوديت» على صدق حبه وحقيقته. فقد حنث بهذا القسم وخان حبه الكبير «لأوديت». فى الاحتفال المقام بقاعة العرش. عندما صرح برغبته فى الزواج من «أوديل». الابنة الشريرة للساحر. اللذين قدما إلى الحفل متنكرين.

إن النهاية السعيدة لهذا الباليه الكلاسيكى الرومانتيكى الذى قدمته فرقة باليه القاهرة بالاشتراك مع راقصين وراقصات من روسيا. وأخرجه د. عبد المنعم كامل تجعلنا نتساءل: هل قيصر روسيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد أصدر أوامره بجعل كل النهايات سعيدة فى الباليه وفى الأوبرا والمسرح والكتاب؟

وإذا كان هذا العرض قد حافظ على النموذج الكلاسيكى الرومانتيكى للباليه. فإن هناك عروضا أخرى فى الغرب قدمت تفسيرات مغايرة... من بين هذه العروض ذلك العرض الذى قدمته فرقة «شتوتجارت» الألمانية للباليه. على مسرح كولزيوم بلندن منذ أكثر من عشر سنوات. وقام بإخراجه المخرج ومصمم الرقصات «جون كرانكو»... فقد رأى

كرانكـو أنه لما كان الأمير «سـيجفريد» قد حنث بالقسـم الذى أقسـمه «لأوديسـت» على أن يظل وفيا لحبها إلى الأبـد. واختلطت عليه الظواهر الخارجيـة بالحقيقة الداخلية. وأثبت أنه غير أهل للحب العظيم. فهو كبطل تراجيدى يجب أن يموت تكفيرا وتطهرا.

وكان أن أعطى «كرانكو» الفرصة «لسـيجفريد» الشخصية المحورية لكى يطور شـخصيته وتتضح ملامحها أكثر... فكان أن اختصرت بعض الجمل الموسيقية المتكررة. لتقوية البناء الدرامى. ولإظهار «سيجفريد أمامنا كإنسان حى يواجه محنة تراجيدية. أكثر من كونه راقص باليه يتقن رقصاتـه الفردية أو الثنائيـة والجماعية... وفـى الفصل الرابع اسـتبدلت رقصة ثنائية بمرثية وترية مؤثرة تشـير إلى المشهد الأخير الفاجع.. كما كانت الرقصات القومية: الروسية والإسبانية والبولندية. وغيرها داخلة فى النسيج الدرامى. غير مقحمة عليه. وفى خدمة نمو الأحداث والتصعيد الدرامى.

يقـول الشـاعر الروسـى «بوشـكين»: ما هـو الحـب إذن. إن لم يكن نغما.

الغجرية كارمن والإسبانى أنطونيو

بقعة من الضوء تتوسط أرضية خشبة مسرح دار الأوبرا المصرية... موسيقى كارمن للفرنسى جورج بيزيه تشكل فى فضاء المكان الديكور الصوتى والجو العاطفى الذى يمهد للمشهد والمنظر والتشكيل.. بانتباه اللحن القوى المرح فى شىء من حزن. يسود الظلام خشبة المسرح لبضع لحظات. بعدها ينيمر الضوء على مجموعة من الراقصات والراقصين يقومون بالتدريب على الرقص... ومثل آلات موسيقى الأوركسترا التى تضبط أنغامها على نغمات السلم الموسيقى. يقوم التشكيل البشرى المكون من أفراد وجماعات بضبط حركات الأذرع والسيقان وخطوط وانحناءات الجسد على إيقاع دقات الأقدام.

الإسبانى من إشبيلية «أنطونيو» يضرب بقدمه الأرض فى إيقاع غاضب. راسما فى فضاء المشهد جسدا مشهرا كالريح. وذراعين وساقين ووجها. فى تعبير جميل عن موسيقى الجسد ونبض انفعاله... والغجرية «كارمن» تتقدم بجسدها الفارع الطول. ترقص محركة أطراف ثوبها المزركش. وضاربة الأرض بقدميها. مصوبة سهام عينيها كغزال برى إلى قلوب الرجال الأشداء من حواليها.

«كارمن» الغجرية. ترقص كما لو أنها جيتار يضطرب فيه الحب فيبكى وينتحب: آه يا حزن الغجرى... دائما أنت وحيد ونبيل ولا قلب

هناك يجترئ على أن يبادلك حبا عنيفا كالموج والريح. ورقيقا كالنسيم وأوراق الورد... آه يا حزن الغجرى... حزمة مشاعر ملتهبة أنت. وهم يسيرون فى الأرض يقولون كلاما كالكذب. وتحركهم عقول غير جميلة وعلاقات مشبوهة.

صوت جبلى خشن وجميل وعذب يغنى أغنية حب. مصاحبا جسد كارمن الراقص المشوق كسيف... وواحد من أفراد فرقة أنطونيو جادس للتاليه على خشبة مسرح الأوبرا يحتضن جيتاره. يوقع بأصابعه على أوتاره. جراح عاشق يسكن الجبل ويحب جميلة من الغجر ليس لها عنوان.

«كارمن». امرأة من الأندلس. مرحة كفراشة. صادقة ونقية على فطرتها كنبات برى. حزينة كجواد جامح يلقى بنفسه فى البحر الهائج ويبتلعه الموج... «كارمن». الموت فقط هو القادر على تخليصها من الرغبة المحتدمة فى الحب.

كم هو صعب وشاق يا «أنطونيو». أن تحب امرأة مثل «كارمن». مشتعلة الحب كبرق طليق يضىء ليل المسافات... كم هو صعب وشاق يا «أنطونيو». أن تحتفظ بحب امرأة مثل «كارمن». مكتفية بذاتها «تتلقى ألوان الحب ولا تعطيه. لا تثنى ركبتها النورانية فى استخذاء فى حقوى رجل من طين. أيا ما كان. وغدا. شهما. عملاقا. أو أفاقا»[1].

---

(١) الشاعر صلاح عبد الصبور.

كم هو شاق وصعب يا «أنطونيو» أن تحب امرأة مثل «كارمن» هى روح إسبانيا التى تنادى عليها محذرة: «ليكن كل الفرسان الشجعان ممن يحلو مرآهم فى عينيك. لك خداما لا عشاقا. أو عشاقا لا معشوقين»[1].

هل الموت هو عقاب «كارمن» لأنها لم تستمع إلى ما تقوله لها أشجار إسبانيا. واشتعلت فيها الرغبة فى حب مصارع الثيران. وأصبح لها معشوقا لا عاشقا!... وهل هى «كارمن» أخرى من رحم الأرض سوف تجىء. لتملأ الوادى والجبل والسهل رقصا. ولتشعل الرغبة فى أجساد الإسبان. فيضربون بأقدامهم الأرض. فى مواسم الحصاد والرقص والغناء والموسيقى؟

من نهر الدراما والتجريد تتتابع الرقصات التى يتشكل منها باليه كارمن صورا ومشاهد ومرئيات وإيقاعات وأنغاما وأضواء وظلالا... الباليه لا يقص علينا حكاية الغجرية كارمن «ستيلا أراوثو» وخوسيه «أنطونيو جادس» والزوج «كاندى رومان» ومصارع الثيران «خوان البا». وإنما تكشف لنا الرقصات التى صممها «كارلوس ساورا» عن المعنى الدال الذى يختفى وراء الحركة والإيماءة والشكل.. كما تظهر لنا الرقصات. الحركة المعانقة للتشكيل. والمنظر العام للمشهد. الذى يعبر عن روح الدراما. بعد أن ينتشلها التجريد من نثر التفاصيل ويرتفع بها إلى سامق الشعر.

---

(١) الشاعر صلاح عبد الصبور.

إيقاع عنيف وغاضب. ولحن غنائى متدفق. وتشكيل راقص جميل. وتكوينات بالظل والضوء... من هذه المفردات والعناصر تتألف رؤية معمم الرقصات «كارلوس ساورا» والراقص الأول فى إسبانيا «أنطونيو جادس». التى تشكلت فى صورة باليه متفرد. ذى طابع خاص ومذاق مختلف عن أى باليه آخر يحمل اسم «كارمن». ويعتمد على موسيقى الفرنسى «جورج بيزيه».

المشهد الراقص أمامنا على مسرح دار الأوبرا المصرية. يستمد خطوطه وألوانه ونوره وظله. من إيقاعات الفلامنكو. ونغمات الجيتار. واضطراب أطراف ثياب الراقصات الإسبانيات فى أيديهن... وعن طريق التآلف بين الإيقاع والحركة واللحن والخطوط والألوان. تتبدى للمشاهد. متتابعة من الألحان والإيقاعات. ذات تشكيل جميل يقترب من نسق القصيدة الشعرية.

زوربا اليونانى.. اللحن الجبلى القوى

يسند الحزن ظهره على بقايا عمود معبد فوق جبل أثينا. يقلب النظر عند التقاء السفح بالجبل. حيث مدرجات مسرح يونانى قديم. يتردد فى أجوائه. صوت إنسان مبلل بدمع مأساة وأصوات منشدين... الحزن ينزل من الجبل متوجها إلى مقهى فقير. ينضم إلى مجموعة راقصين من الرجال فى أرديتهم السود. كل يمسك بيد الآخر. يضربون الأرض بأقدامهم. على وقع ضربات قوس على أوتار كمان. يعزف عليه مغن يونانى عجوز متهدم.

من بين مجموعة الراقصين على ربوة جبلية. يخرج علينا زوربا فاردا ذراعيه. وقدمه تدق الأرض. تمسك بأطراف نغمة لم تخن إيقاعها... هاهو الإيقاع داخل جسد زوربا يستعيد نبله. فينتشى اللحن الجميل ناشرا غلالته الشفيفة الملونة على الأحياء والأشياء.

من الموسيقى التى ملأت البحر الأبيض المتوسط. يوم أن سقطت الآلة الوترية «الليرا» من أورفيوس. ذات صباح جميل مشرق على أثينا. أخذ «ميكيس تيودوراكيس» لحنه الذى صاحبه فى المنفى والسجن وفى الجبل مطاردا... ومن نهر الحكمة العذب. عند اليونانيين شرب... ومن اتحاد الجميل والفاضل فى العقل الأثينى تعلم... فكانت موسيقاه. كأنها الدواء لجرح فى أعماق «تيودوراكيس». عانق فى أعماقنا جرحا.

على خشبة المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية يرقص زوربا. ذلك اللحن الجبلي القوي. الذي لما أعيته شارات الظلم تنشر ظلها الفاسد على الأمكنة. عاهد الجبل على ألا ينخفض له شراع مهما كان عنف العاصفة. وألا يحني رأسه لسلطة أينما كانت.

الكورس اليوناني القديم في زيه الأبيض إلى يسار المسرح. يشهد على زوربا وهو يتنقل راقصا من ربوة مرتفعة إلى سهل منخفض. وكأن روح اليونان الخالدة تريد أن تنفلت انفلات الطير من القفص المادي. بعيدا عن مظالم البشر وحماقاتهم. مجيبة على تساؤل «أريستوفان»: لماذا لا تصير الطيور سادة على كل شيء. فيبنون مدينة في الهواء. ويحكمون البشر الذين يحيون في جو الأرض... هؤلاء البشر الذين يحيون حياة معتمة في الأسفل. ويذبلون كأوراق الشجر. وقد بهت لونهم وفارقتهم الروح الخالدة؟!

اضحك يا زوربا ما وسعك الضحك. وجنب نفسك الهموم. فنهار الحياة قصير وليل المدن يترصدك.

هذه موسيقى «تيودوراكيس» قد أصغت إلى كلمات الأغنية الشعبية اليونانية القديمة إصغاء فيه تفكر وخشوع... وهانحن نستشعر في الموسيقى حلاوة تتسلل إلى القلب. تغرس فيه معرفة غامضة بالله والحرية والعدل.

اللحن البصري بخطوطه وألوانه ونوره وظله. المتجسد في تصميم رقصات الباليه لـ«لوركاماسين» في فضاء المسرح، يمتزج بتيار موني اللون العاطفي الصادر من آلات أوركسترا وكورال راديو أثينا السيمفوني.

ومن حركة أصابع «تيودوراكيس» تتولد النغم. ورعشة الإيقاع تتلبس جسده... وزوربا اليونانى يتكشف لنا من خلال الرقص قويا ونبيلا.. وفيه شىء من ضعف وبعض الحماقات.

موسيقى «تيودوراكيس». هى الزمان اليونانى فى انتصاراته وانكساراته... هذا هو زوربا يضرب بقدمه الأرض لعلها تفيق وتستيقظ من ليل احتلال النازى... وهذا هو صوت «تيودوراكيس» تصرخ به آلة نفخ نحاسية فى رفضها لدكتاتورية عسكرية أصابت ديمقراطية العقل الأثينى فى مقتل... وآلة هارب ضمن فريق الأوركسترا شاركت من زمن فى نقل موسيقى مصر الفرعونية إلى أوروبا. يعزف عليها عجوز يونانى جالس عند أقدام الأكروبول. ينظر فى حزن إلى فتاة يونانية يمسك بيدها جندى أمريكى يقطن القاعدة العسكرية القريبة. ومن حولهما بقايا أعمدة وتماثيل.

اليونان. أرملة فى زيها الأسود. وحيدة فقدت رجلها فى معركة ضد العدو القابع فى الداخل... اليونان امرأة مكتملة النضج، تشيح بوجهها بعيدا عن مستثمر شرير ومغامر أجنبى. تجد فى زوربا رجلها القوى. وفى «تيودوراكيس» فنانها الصادق. يجاهر بالعداء للموسيقى المخدرة. ويقدم لمواطنيه موسيقى تحرض على الثورة وعلى طرد القواعد العسكرية الأمريكية.

اليونان. رجالا ونساء على خشبة المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية... ترقص للحرية ولانتصار العدل وفرح الأطفال.

أبو الهول.. الأرض.. الدرس

تحت دائرة الضوء. ينفض «أبو الهول» آثار النعاس من عينيه الشاخصتين إلى البعيد... يخلع عن جسده الرداء التنكرى الذى أخفى حقيقته عنا زمنا.. يتبدى أمامنا امرأة شابة تحتدم فيها رغبة عارمة فى حب «أوديب». ذلك الواقف على أبواب مدينة طيبة الممتنعة عليه. إلا أن يحل لغز «أبو الهول». فينفتح له الطريق إلى المدينة، أو يكون القتل مصيره.

على دقات الطبول المصاحبة لكونشرتو الوتريات والبيانو للموسيقى «يوهلاف مارتينو» من بوهيميا الشرقية. ترقص المرأة الشابة على خشبة مسرح دار الأوبرا المصرية رقصات صممها الأمريكى «جلن تيتلى» من أوهايو... لعل الرقص يخفف من وقع سياط الرغبة التى تلهب الجسد. ولعل مصاحبتها للنغمة الفاضلة ذات الشجن تمنحها قوة تنتصر بها على حمى الرغبة والتوق إلى الحب.

عاطفة تجيش بانفعالات صاخبة وأحاسيس محتدمة. تقود خطوات رقص المرأة الشابة وحركات جسدها، بالرغم من تحذيرات «أنوبيس»، إله الموت عند المصريين القدماء، من فداحة الثمن الذى عليها أن تدفعه فى مقابل حبها «لأوديب»... لكن الجسد الفتى، الذى تمور فيه الدماء

الحارة. وتسكنه رغبة لا تقاوم في حب «أوديب» والخوف عليه من الموت. يملي عليها أن تفشي «لأوديب» سر اللغز.

المرأة الشابة وأوديب يرقصان رقصة الحب... ويرتقيان معا سلم النشوة المتعدد الدرجات. تزفهما موسيقى محتفلة لا تخلو من رجع صدى حزين. إلى حيث غمامة مضمخة بالعطر تضمهما. وحزمة من ضوء ملون. وبعض غناء وأناشيد.

الجسد الفتي للمرأة الشابة على خشبة المسرح. يرقص سليما معافى. ذهبت عنه الحمى. لكنه ينتظر في ندم فقدان هيئته الآدمية إلى الأبد. وانطفاء رغبته في الحب... وأوديب الشاب. يسرع الخطا في المدينة. بحثا عن عدالة مفتقدة. بعد أن تعلم الدرس الأول له في المدينة ذات الوجه المكشوف... ويتوقف النغم عن البوح. ليتنبى باليه «أبو الهول» الذي قدمته فرقة مبرجان لندن للباليه.

الأرض. باليه آخر من فصل واحد. قدمته فرقة مبرجان لندن للباليه، صمم رقصاته «كريستوفر بروس». ووضع موسيقاه «آرني نوردهايم». هو نوع من المحاكاة بالجسد والحركة والتشكيل لمعاناة الإنسان على الأرض. وهو نوع من معالجة تنحو إلى التجريد في تعبيرها عن التعقيد في شبكة العلاقات بين البشر. ولا تقف طويلا أمام التفاصيل والجزئيات الصغيرة.

استطاعت الرقصات الثنائية والجماعية. التي أدتها الفرقة على أنغام

موسيقى البيانو وبعض مؤثرات صوتية وأصوات تغنى أغنيات شعبية. أن تقترب كثيرا من رسم صورة بالحركة والموسيقى للإنسان المعاصر. فى سعيه الدائب من أجل الانتصار على الألم والشرور والمظالم.

وينزل ستار المسرح الكبير بدار الأوبرا عن الموسيقى التى تتوجه بإيقاعها ونغمها إلى العاطفة الذاتية. وتخاطب انفعالات النفس ورغبات واختلاجات الجسد. ليرتفع الستار من جديد عن الفقرة الثالثة من البرنامج. المكون من ثلاثة باليهات من ذوات الفصل الواحد: باليه الدرس.

إلى فصل فى مدرسة للباليه. تأخذنا موسيقى «سيزرنى»، أحد تلامذ «بيتهوفن». والتى أضاف لها الموسيقى الدانمركى «كنوراج ديزاجر» بعض الألحان وقام بتوزيعها أوركسترياليا... نشاهد الصورة المرئية لحركات الرقص التى صممها «هارولد لاندر» وهى تعانق الصوت الموسيقى، فى تشكيل يستعين بحركة الإضاءة وتزامنها مع تحولات الصور والمشاهد والأصوات فى فضاء المسرح، وذلك عبر ثمانى عشرة حركة وافتتاحية، تكون لباليه الدرس شكله وقوامه الجميل.

درس فى الموسيقى حين تعانق التشكيل، هو ما نخرج به من مشاهدتنا لهذا الباليه، الذى يصحبنا معه فى رحلة. إلى حيث النظر العقلى المجرد لنسيج موسيقى يتكشف أمامنا ويفصح عن رقته وشفافيته، مثل أوراق وردة تتفتح للندى وشعاع الشمس.

أبــو الهــول. الأرض. الدرس... باليهات ثلاثــة من ذوات الفصل الواحد. قدمتها فرقة مهرجان لندن للباليه... هى متعة للعقل المرهق. وجمال للنظر الذى أفســده قبح علاقات نهار مدينتنــا وليلها المتآمر. وراحة للنفس التى تنشد سلاما ورحمة فى فن جميل راق.

❑❑❑

الإيقاع الغريزى والانفعالى والفطرى فى الرقص

طائر النار يمس بجناحيه قلب «إيزادورا» المشتعل بالحزن لفقد أطفالها. فيستيقظ الإيقاع الساخن والفطرى والعنيف.. ترقص «إيزادورا». ويتكلم الجسد الذى يعتصره الألم. ويثور ويغضب وينتحب.. وكواحدة من النساء الإغريقيات عارية القدمين مرتدية رداءها الطويل الفضفاض الشفاف. تكشف حركة الذراعين والساقين وثورة الجسد عن الغريزى والانفعالى والفطرى.

من خلال الحركة والسكون والارتعاشة والاختلاجة. يتكشف لنا جسد «إيزادورا» غاضبا كالبحر. عاصفا كالريح. نقيا كشعاع الشمس الوليد.. وتنفتح عيوننا على ينابيع من الدهشة فى طزاجتها وبراءتها الأولى.

على مسرح دار الأوبرا الملكية فى «كوفنت جاردن» فى العاصمة البريطانية «لندن». تقدم فرقة البالية الملكية باليه «إيزادورا» فى فصلين يتتبعان سيرة حياة «إيزادورا». التى ولدت عام ١٨٧٨ فى مدينة «سان فرانسيسكو» بالولايات المتحدة الأمريكية. وتزوجت من الشاعر الروسى «سيرجى ايزينين». وكان لحادث الغرق الذى تعرض له أطفالها تأثير كبير على حياتها. وماتت فى حادث سيارة فى فرنسا عام ١٩٢٧.

إيـزادورا.. فى رقصها كما فى حياتها الخاصة. ثائرة على المألوف والعـادى. ومتمردة على طرائق المعاصرين لها فـى الفن والحياة وعلى أخـلاق المجتمع.. عاصـرت نهاية قـرن وبداية قرن جديـد. وثورة تكنولوجية وأخرى اجتماعية وسياسـية. وما صاحب هاتين الثورتين من أحـداث وتنبات وتغييرات فـى البنية الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية للمجتمعات الغربية.

إلى أى مدى عكست «إيزادورا» من خلال حياتها وفنها روح العصر الذى عاشـت فيه.. سـؤال يختلف عند الإجابة عليـه الكثيرون ويظل مثار جدل ومناقشة.

على غير المعتـاد والمألوف فى عروض الباليه. اتخذ المخرج ومصمم الرقصات «كينيـث ماكميلان» تكنيك الروايـة والتعليق على الأحداث طـوال فترة العـرض.. تقوم الممثلـة «مارى ميللـر» برواية الأحداث. وبالتمثيل فى بعض المشـاهد. وبإلقاء مقاطع كلامية مدونة فى مذكرات «إيزادورا» الخاصة تكشف لنا عن حياتها الانفعالية المتقلبة.

تطفأ أنوار المسرح وتسقط دائرة الضوء حول «ميرل بارك» ورقصاتها المعبرة عن الكلمة والحكاية والمشهد.. تتكرر فترات الإظلام الصغيرة. مكونة الفاصل الذى يفصل بين المشهد الراوى أو المعلق أو التمثيلى وبين المشهد الراقص.

لقد حرص «ريتشـارد رودنى بينيت» أثناء كتابته موسـيقى باليه «إيـزادورا» علـى أن تفى موسـيقاه بالمتطلبـات العديدة التـى تطلبها

سيناريو «جوليان فريمان». من موسيقى رقصات شائعة فى المقاهى وقاعات الرقص التى كانت منتشرة فى سان فرانسيسكو ولندن وباريس وبرلين وبودابست واليونان وروسيا وأمريكا الجنوبية. ورقصات فردية لإيزادورا تعبر عن تقلبات نفسها وعن أوجاع حياتها وأفراحها الصغيرة. ورقصات ثنائية تطلعنا على عشاق «إيزادورا» الكثيرين وعن عشقها الدائم والوحيد للفن.

من أجمل المشاهد التى حفل بها العرض. مشهد وصول «إيزادورا» من سان فرانسيسكو إلى محطة قطارات فيكتوريا فى لندن. وفيه أدى الشباب من الجنسين رقصة دافقة بالحيوية والتلقائية. كذلك كان مشهد محطة قطارات «سان بطرسبرج» فى روسيا. الذى أدى فيه الفلاحون والعمال فى الساحة رقصة جماعية فى أداء متناسق وجميل وقوى.. أما الرقصة الفاجعة. رقصة الموت. التى جاءت عقب سماع «إيزادورا» بغرق أطفالها. وأيضا المشهد الجنائزى فى الريح العاصفة وسط قطع الثلج المتناثرة أمام المذبحة التى تعرضت لها الهبة الثورية فى روسيا عام ١٩٠٥. فقد كان له تأثير كبير على الجمهور المشاهد.

كان صمم المناظر والديكورات «باري دى» ناجحا فى استغنائه عن الحوائط والجدران. واستبدالها بستارة دائرية كبيرة. تأخذ مساحة كبيرة من أرضية المسرح.. وبتحريك هذه الستارة دائريا يتغير المنظر ومكان الحدث فى سرعة ودونة فائقة.. وكان لاتباع مصمم المناظر والديكورات لهذا الأسلوب أن ابتعد عن البهرجة والتكلف والتعقيد.

أدت «مارى ميللر» دورها كممثلة وراوية للأحداث ومعلقة عليها فى قوة وجمال ممثلة مسرح قديرة.. أما «ميرل بارك» فى دور «إيزادورا» الراقصة. فعلى الرغم من أن رقصاتها كانت أقرب إلى الباليه الكلاسيكى منها إلى الرقص الحر. الذى كانت تنتهجه «إيزادورا». والذى يعتمد بالدرجة الأولى على إيقاع النفس وتباينه من الحركة والتوثب إلى الخفوت والسكون. إلا أن «ميرل بارك» استطاعت أن توصل لنا عبر قنوات جسدها. ما كانت تموج به نفس «إيزادورا» من آلام وأحزان.

إن اقتراب عرض باليه «إيزادورا» من المسرح الفانتازى. وابتعاده بعض الشىء عن عروض الباليه المألوفة. يدعونا إلى التساؤل: هل يمكن لغير هذا الأسلوب الذى اتبعه «كينيث ماكميلان» أن يكون أكثر نجاحا وتوصيلا؟.. وهل يفتح هذا العرض بجرأته الباب أمام فرقة الباليه الملكية لكى تطرق موضوعات جديدة وتتخذ أساليب مبتكرة فى معالجتها؟

❑❑❑

تأمل

لحظة نسأم فيها الكلام. نمله. ولا نرغب فيه. يتكشف لنا الزيف والمراوغة والكذب الذى يبطن كلامنا وأقوالنا. وحتى همسنا. نستعيذ بالصمت من كذب الكلام. نبحث عن اللغة الفاضلة. فلا نجد غير الموسيقى وسادة تستريح عليها رؤوسنا المرهقة. وشفاء لتلوينا التى اعياها اللغات... إنه باليه «كسارة البندق» . فرحة كل الأعمار. للموسيقى الروسى تشايكوفسكى.

بعد أن شاهد الشاعر الإنجليزى «أودن» عرضا لباليه «كسارة البندق». قال: هذا الباليه بموسيقاه ورقصاته الساحرة يجعلنا نشعر بالبهجة فى أن نكون أحياء.. ويجد فيه الذين فقدوا القدرة على الاستمتاع بالحياة. إنه بقدر ما فى الحياة من أحزان واحباطات وآلام. بقدر ما فيها من أفراح. وأن الحياة جديرة بأن تعاش.

يبدو أن كل فرقة من فرق الباليه العديدة المنتشرة فى دول أوروبا الغربية والشرقية وأمريكا. يرتبط اسمها بأحد عروض الباليه. بحيث تبدع فى إخراجه وتتميز به. ففى إنجلترا على سبيل المثال. إذا كانت فرقة الباليه الملكية ذى رويال باليه» تتدم باليه «الجمال النائم».. ويعتبر العمل الكبير والهام الذى تؤديه الفرقة منذ إنشائها. فإن باليه

كسارة البندق . يعتبر من أهم عروض الباليه التي تقدمها فرقة لندن للباليه «لندن فيستيفال باليه» على مدى تاريخها.

على مسرح قاعة الاحتفالات الملكية بلندن جنوب نهر التايمز. قدمت فرقة لندن للباليه عرضا لباليه «كسارة البندق». الذى قدمته لأول مرة فى لندن فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٥٠. وهو باليه فى فصلين. تجرى أحداث الفصل الأول فى حجرة الاستقبال بمنزل عائلة ألمانية. وفى ليلة رأس السنة. الدكتور استوهلبوم وزوجته «فرو» وأبناؤهما «كلارا». و «فرتز». و«لويز» فى انتظار وصول ضيوفهم إلى الحفل الذى يقيمونه بمناسبة رأس السنة. بين المدعوين عائلة «فون راتشتين» الغنية والابن «هيرمان». موضع اهتمام المضيفة «فرو». التى تحرص على إدخال السرور إلى قلوبهم. أملا فى أن تزوج ابنتها الكبرى «لويز» إلى «هيرمان». لكن مساعى فرو تبوء بالفشل بوصول «دروسلمير» مربى الابنة الصغرى «كلارا» وبصحبته «كارل» ابن أخيه. الذى يجمع الحب بين قلبه وقلب «لويز». يوزع «دروسلمير» هدايا الكريسماس إلى الأطفال. ويكون من نصيب «كلارا» كسارة بندق. على شكل رجل بأنف ضخم وفم كبير يكسر به ثمار البندق.

ينتهى الحفل وينصرف المدعوون. ولا يتبقى فى حجرة الاستقبال غير «لويز» و«كلارا». جالستين على الأريكة بجوار المدفأة إلى أن يغلبهما النعاس. وتذهبان فى رحلة مع الأحلام إلى عوالم أكثر بهجة. تحفل بالألوان والموسيقى والغناء والرقص.

في الفصل الثاني نصطحب «لويز» و«كلارا» في رحلة الحلم عبر بحار السكر والليمون، إلى مملكة الحلوى. مرورا ببلاد الأسبان والأراضي الروسية والصينية وبلاد العرب. ونتعرف في رحلة الحلم إلى موسيقى الشعوب ورقصاتهم التقليدية... الأطفال الصينيون في رقصهم الجميل. والشباب الروسي والفتيات الروسات على وجوههم النضرة ابتسامات وفرحة تتناغم مع الموسيقى الراقصة الشجية. والأسبان في رقصتهم الشهيرة «الفلامنكو». ورقصة عربية من بلاد العرب.

لويز في مملكة الحلوى تقابل «كارل». و«كلارا» تجد ما تحبه وترغب فيه من حلوى... وبانتباه الحلم. «لويز» و«كلارا» تجدان نفسيهما في مكانيهما على الأريكة بجوار المدفأة على إثر إيقاظ والدتهما لهما. وتعتري «لويز» الدهشة عندما تدرك أن أمها أصبحت أكثر اقتناعا ورضا بالحب الذي ألف بينها وبين «كارل». وتتساءل كل من «لويز» و«كلارا» عما إذا كانت تلك الرحلة واقعا معاشا أم أنها مجرد حلم.

جعل «رونالد هند» مخرج العرض من «لويز» الباليرينا وليست «كلارا». كما أضاف ملامح بورجوازية الطبقة المتوسطة على سلوك وتصرفات الدكتور «استوهليوم» وزوجته «فرو». وسخر من محاولتهما الصعود درجة في سلم المجتمع. كذلك قدم في العرض شخصيات جديدة إضافة للشخصيات الأصلية للباليه.

إذا كان هناك من أشاد بقيام رونالد هند باضفاء روح معاصرة إلى باليه كسارة البندق. من خلال السخرية من سلوكيات ورغبات وتطلعات وطموحات غير مقبولة. فإن هناك أيضا من أشار إليه بأصبع الاتهام. لأنه أوصل الفن الجميل «الباليه» بأجوائه الساحرة إلى عتبات الواقع. الشيء الذى ألحق الضرر بما يشيعه الباليه من روح شفافة رقيقة أشبه بالحلم الجميل. ومن أجواء أكثر صفاء ورقة بعيدا عن كلامنا الأرضى وكذب الواقع المعاش.

فكرة باليه كسارة البندق. مأخوذة عن قصة للكاتب «أرنست تيودور ويلهلم هوفمان» (١٧٧٦ - ١٨٨٢) بعنوان «كسارة البندق وملك الفئران» ضمن مجموعة قصص للأطفال كتبها عام ١٨١٦ بعنوان «حكايات هوفمان». ويعد «هوفمان» من الكتاب الذين اشتهروا بكتاباتهم التى تجنح إلى الخيال والسحر. وقد أخذت عن كتاباته العديد من عروض الباليه والأوبرا. مثل باليه «كوبيليا» وأوبرا «أوفينباخ» المسماة «حكاية هوفمان».

❑❑❑

الرسم بالموسيقى والرقص بالألوان

يعذب

الكلام إلا القليل منه. فبل تصدق الحركة؟.. ولما كانت النفس العاطفية لابد لها من وسيط يحقق لهـا التواصل والاتصال بالآخرين. فبل تنجح لغة الرقص فيما تفشل فيه لغة الكلام.

الباليه الكلاسيكى.. هذا الفن الجميل الذى يأخذنا معه إلى حيث المهرب الجميل ننسى فيه همومنا ومتاعبنا. لا يمكن إلا أن نحبه حتى وإن قصر عن تلبية بعض احتياجاتنا النفسية والروحية التى يحققها لنا الباليه الحديث. الذى يتناول مشكلات وقضايا وهموم الإنسان فى عالم اليوم.

على مسرح الجمهورية بالقاهرة. قدمت الفرقة الألمانية «دانسفوروم كولن» للباليه الحديث ليلتى عرض. قدمت فيهما مجموعة من الرقصات. تمزج بين الرقص التعبيرى الملتزم بحس اجتماعى نقدى. وبين تشكيلات موسيقية وحركية مرئية فى انسجام وتناغم.

راقصو وراقصات الفرقة من جنسيات متعددة: ألمانيا. النمسا. فرنسا. بريطانيا. أيسلندا. السويد. أمريكا. نيوزيلندا. وأستراليا.. والاسم الذى اختارته لنفسها يدل على هويتها كمجموعة تجتمع للنقاش وتبادل الرأى. بهدف تقديم الاتجاهات المخالفة فى الرقص

الابتكارى الحديث فى أوروبا وأمريكا. وعرض صورة بأكبر قدر ممكن من الشمولية للتجارب المختلفة فى فن تصميم الرقص.

ما هو الرقص. إذا لم يكن جمالا يقظا فى جسم الإنسان؟.. ما هو الرقص. إذا لم يحدث التوافق والتناغم والانسجام بين الجسم والروح حتى تصبح حركة الجسم هى اللغة الطبيعية للروح الإنسانية؟.. ما هو الرقص. إذا لم يكن خطوطا وألوانا تنبع من حركة الهواء. ورفرفات جناح طائر. وكلام البحر؟

ثارت «ايزادورا» رائدة الرقص الحديث على الطريق المسدود الذى انتهى إليه الباليه الكلاسيكى. بتوقفه أمام استعراض المهارات التكنيكية للراقص.. وكان اعتقادها أن الضوء المتذبذب للروح الإنسانية يجب أن يتدفق فى قنوات الجسم فى حرية. وفقا للشكل والهيكل والتركيب العضوى لجسم الإنسان.

لم تفسر «إيزادورا» الموسيقى بحركات جسدها. وإنما كان دور الموسيقى هو الاستثارة العاطفية لتيار شعورها وأفكارها اللاشعورية. حتى ينثال الجسد أضواء وظلالا. وفى حركة كالغريزة يرسم الجسد شعر الحركة فى الفراغ.

أداء فرقة «تانسفوروم كولن» الألمانية للباليه الحديث فى رقصاتها التى قدمتها فى ليلتى العرض بمسرح الجمهورية. يقترب من مدرسة «مارتا جراهام» التى جاءت بعد «إيزادورا». وأحدثت ثورة فى مفردات الرقص.

فى محاولة منها للنفاذ إلى الفكرة المراد التعبير عنها بالرقص. وتجريدها إلى خطوطها الأولية ثم التعبير عنها بالتشكيل والحركة.

الرقصة المسماة «مقطوعات ثلاث». محاولة من مجموعة الراقصين والراقصات لفهم القوانين الرياضية التى تتكون منها الموسيقى المكونة من مجموعة الونريات والترومبيت والإيقاع. وترجمتها من وسيط سمعى إلى تشكيلات بصرية وخطوط مرئية.. ولا يقتصر الأمر هنا فى هذه الرقصة على التعبير المرئى للشىء المسموع. وإنما تجاوز ذلك إلى محاولة التعبير عن عزلة الفرد وسط المجموع والرغبة الملحة فى الاتصال والتواصل مع الآخرين. برغم الفزع من الحياة ومن اختراق الآخرين لعزلة الفرد فى زمن الكراهية والشرور.

«المدينة الكبيرة». باليه حديث بتعرض لحياة الأفراد فى المجتمع الرأسمالى. وما يفرزه من صراع طبقى نتيجة الفروق الهائلة بين أفراد المجتمع الواحد.. إنه المجتمع الذى يقوم على الكراهية ويحوى بين حناياه أسباب انهياره وتهدمه.

«مناسبة سعيدة». رقصة تكشف إلى العالم المرئى ما يعتمل داخل نفس رجل وامرأة عندما يتسرب الملل إليهما. لكن رابطة الحب القوية والمشاعر الحميمة التى يحملها كل منهما للآخر أقوى من عوامل الفناء وأمراض الزمن.

«تحت قوس قزح». لوحة جميلة تتشكل أنغامها الصادحة أمامنا خطوطا مرحة وألوانا بهيجة. وفيها يشف الجسم الإنسانى ويضىء..

إنه ذلك الخياء المتذبذب للروح عبر قنوات الجسد والذائب فى اللحن الساطع والنشوان. تعزفه أصابع مرهفة على مفاتيح آلة البيانو أسفل خشبة المسرح.

يتغير لون الحياة
وتضيء كما النجوم فى عتمة الليل
تتضح الرؤية وأرى الأشياء على حقيقتها
أجد الأخضر فى العشب الندى
والفضى يتثال من القمر
والأزرق هناك يملأ السماء
وذلك النصف دائرة المعلق فى الفضاء
إنه ليس سحابة تأتى بالعاصفة
إنه قوس قزح
الآن أنت جئتنى بالألوان

❑❑❑

خطوط الجسد منسابة كنغمة عاطفية

الباليه هذا الفن الجميل الذى يكشف عن الجمال الدائم فى جسم الراقص أو الراقصة. ويبعث فى الأجساد ارتعاشات الروح واختلاجاتها. حرة من كل القيود التى كبلتها طويلا.. ألم يحن الوقت لكى يعبر عن روح الإنسان البسيط المتعب الحائر. الساعى فى دروب الحياة؟

فن الباليه. مثله كسائر الفنون. عبر عن وجهة النظر الرومانتيكية. التى سادت بداية القرن التاسع عشر. وغيرت النظرة التى ينظر بها الناس إلى الحياة. وجعلتهم يثورون على أنفسهم. التى حولتها الثورة الصناعية إلى ماكينات لا تشعر ولا تحس ولا تأبه بكل ما هو إنسانى.. وشارك الباليه الفنون الأخرى فى صنع المهرب الجميل من العالم البائس الذى يعيشه الناس. وخلق لنفسه أشكالا ومضامين تزخر بحكايا الحلم والأشباح والجنيات. وبعوالم أكثر مثالية من عالم الواقع.. وكان أن أوجد الباليه لنفسه أجنحة يحلق بها.

من الجميل أن يجد الإنسان المهرب الجميل. والملاذ الآمن. والوسادة التى يريح رأسه عليها من عناء وشقاء اليوم.. لكن أليس أكثر جمالا وأكثر نبلا أن نجد فى الفن المشاركة. وأن نجد عند الفنان الإحساس بالمسئولية عن إخوته فى الإنسانية؟

فـي بعض فقرات العـروض التي قدمتها فرقـة الباليه الحديثة في القاهرة. نتلمس محاولة بعض مصممي رقصات الباليه في العالم الاقتراب والدنو من الإنسان في حياته اليومية. والتعبير عنها. الأمر الذي يحقق لهم قدرا أكبر من التواصل بينهم وبين الناس. ويقرب المسافة التي تبعد فـن الباليه عن الجمهور العريض. في اللوحات التي قدمت تحت عنوان «الأيدي». يحدث التصالح بين الكلمة والصوت الإنساني. وبين الأغنية الحديثة وأغنية الأوبرا. وبين الحركة والنغمة والإيقاع.

ينفتـح السـتار عـن مجموعة مـن الراقصـات والراقصـين يقفون مشـرعي الأذرع والأيدي في الهواء. الصوت العميق للممثل الإنجليزي «بول سـكوفيلد» الآتي عبر شـريط الصوت. يتراوح بين الرقة والعنف والخفوت والقوة.. تكتسي الكلمة الشاعرة المسموعة بالصورة الحركية. ويتجمع الخيط المرئي إلى جانب الخيط المسـموع ليكون النسـيج الفني الحي والمتألق.

الإنسـان المتوحد الواقف في الظلمة. ينفتح الستار عليه وهو يقوم بعمـل تكوينات بيديه وذراعية. حزينة وشـجية وغير ذات جدوى.. الضوء المتألق يجد له مكانا على المسـرح. والإيقـاع يصحو. والنغمات العذبة تسري. لما تتقدم من يمين وشمال خطوات مرحة وثابتة ونشيطة لفتيات جميلات وفتية يافعين.. المتوحد والمتفرد يمد يده يمسك بأيدي الجمع الممدودة في مودة وفرح. ويرقص ويقفز ويتمايل في انتشاء.

آلات النفخ النحاسية تقود بقية الآلات الموسيقية والجمع الراقص والإيقاع نحو الفرح الأسمى. ونوقظ فينا الإيقاع النعسان. وتدعونا إلى مغادرة مقاعدنا إلى الرقص.. هو الفرح إذن عندما يعبر عن نفسه. وهو التطهر والاغتسال من شرور وآثام الليل. ما نشاهده فوق المسرح.

أغنية نسمعها على الشريط الصوتي.. تنويعات لحنية على جملة كلامية واحدة: «كل العالم بين يديه».. يعلو النغم ويخفت. ويقوى ويضعف.. الإيقاع يتحرك من البطء إلى السرعة.. الجمع الراقص يكرر الجملة الكلامية ويعطيها من روحه درجات اللون والظلال: «كل العالم بين يديه».. حركة الجسد والأذرع والسيقان والأيدى وقسمات الوجه. تعبير شديد الخصوصية بين الروح والجسد.. اللحن يبلغ ذروته. والجمع الراقص ينشد: «كل العالم بين يديه».

لوحة «خطوات درجة» من موسيقى تشايكوفسكى. صمم رقصاتها جورج بالانشين. نموذج للامتزاج والالتحام بين النعمة والحركة فى تشكيل مرئى ومسموع. تتضمنه حركة خطوات الراقصات والراقصين الخطوط المتوازية والألوان البديعة.

الأغنيات.. تحكى بالحركة والنغمة حكايا الإنسان وأحزانه الكبيرة وأفراحه الصغيرة. من خلال رحلة الإنسان فى الواقع المعاش.. وهذه جارة الحسب المشتعل تبعث النور فى وجه العاشق وتلقى بذبذبات صوتها على جسده.. خطوات متعثرة خجلى. وخطوات واثقة

متباطئة.. خطوة أولى يبدأها المحب تتلوها خطوات الحبيب.. يسعى الحبيب إلى الحبيب.. يمد له يده لتنام عصفورة بين يديه.. لكن الخطى تتباعد. والأيدى تتشنج. ويسكن الحزن الجسد. لما تتجمع فى سماء الحب سحابة رمادية.

هلموا إلى الرقص.. هذه رقصاتنا. فأين رقصاتكم؟.. ثنائيات فى لون الورد وفى ألوان حمراء ورمادية وقرمزية.. الحركة هى ذوب الرقة والعذوبة.. والراقصات والراقصون. كما لو كانوا كائنات عليا شفيفة. تعلن علينا رقتها وشاعريتها. ونحن نستقبل فى فرح ذوب الشعر ونغتسل ونتطهر.

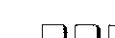

كليوباترا فى حديقة قصرها تغنى لحبيبها أرق الأغنيات

كل هذا العمق الذى تتميز به أوبرات هاندل (١٦٨٥-١٧٥٩) والأسلوب المشحون بالعاطفة الذى يكتب به أعماله الأوبرالية. نجد تفسيرا له إذا ما نظرنا إلى القرن السابع عشر فى فرنسا. الذى شهد اثنين من أعظم كتاب المسرح الكلاسيكى. «كورنى» و«راسين» اللذين تجاوزا فى كتاباتهما الموضوعات الوقتية إلى الحقائق الكبرى فى الكون وفى حياة الإنسان. والتعبير عنها فى أعمال لا تزال حية إلى وقتنا هذا.

يكتب «هاندل» الألحان المنفردة والثنائية ولأصوات المجموع. مغنيا فيها أشواق وعذابات الإنسان. ومن مجموعة هذه الألحان ينتظم عقد المشاهد والفصول. مكونا العمل الموسيقى الأوبرالى.

على مسرح «الكوليزيوم» بكوفنت جاردن فى لندن. قدمت فرقة الأوبرا الوطنية الإنجليزية عرض الأوبرا «يوليوس قيصر» للموسيقى «هاندل». ومن إخراج «جون كوبلى»... تبدأ أحداث الفصل الأول فى مدينة الإسكندرية فى مصر الفرعونية. والقائد الرومانى «يوليوس قيصر» يدعو جنده إلى وقف القتال الدائر بين الرومان والمصريين. وإلى إقرار السلام.

الجميلة كليوباترا. تذهب إلى «يوليوس قيصر» لتطلب منه الوقوف إلى جانبها في وجه مكائد وشرور أخيها «بتوليمي» ورجاله. والأخذ بيدها لتأكيد سلطانها الكامل على مصر. ويأخذ «قيصر» بسحر وجاذبية «كليوباترا» ويستجيب إلى طلبها... وفي الوقت نفسه الذي تعتزم فيه «كورنيليا» وابنها «سيكستوس» قتل «بتوليمي» والانتقام منه لمصرع «بومبي» الزوج والأب. يكون «بتوليمي» قد أمر رجاله بإيداع «كورنيليا» السجن. وبالتخطيط لاغتيال القائد الروماني «يوليوس قيصر».

يرتفع الستار عن الفصل الثاني. و«كليوباترا» تقف في حديقة قصرها وسط عرائس الشعر والإلهام الفنية. تغني لحبيبها القائد الروماني الشهير أجمل وأرق الأغنيات... يدخل القائد الروماني «يوليوس قيصر» إلى غرفة نوم «كليوباترا» التي تدعى النوم.. وتستمع في فرح وسعادة غامرة إلى الكلمات التي يبثها فيها حبه.

وبينما «كورنيليا» سادرة في حزنها ويأسها. تأتي الأنباء بنجاح ابنها «سيكستوس» في الهروب من سجنه. وبرجال «بتوليمي» يجدون في البحث عن «يوليوس قيصر» لقتله... ويغادر «يوليوس قيصر» مخدع «كليوباترا» التي تبدو حزينة جزعة. تغني في لوعة وأسى. وتصلي من أجل عودته سالما آمنا.

في الفصل الثالث. تعلن «كليوباترا» الحرب على أخيها «بتوليمي» الذي ينجح في هزيمة قواتها وإيداعها السجن... لكن سرعان ما ينتصر «يوليوس قيصر» على «بتوليمي» ورجاله. ويطلق سراح «كليوباترا»

و«كورنيليا»... ووسط تحايا جماهير المصريين. يتوج «يوليوس قيصر إمبراطورا على روما. وبدوره يقوم «يوليوس قيصر» بتتويج «كليوباترا» ملكة على مصر.. ومعا «كليوباترا» و«يوليوس قيصر» يعلنان في سعادة غامرة للجمع الحاشد عن حبهما الخالد إلى الأبد.

في متتابعة من ثمان ألحان للصوت المنفرد والثنائي والكورال. يرسم لنا «هاندل» ملامح «كليوباترا» بين الرقة والعنف. والقسوة والحنان. وقوة البأس والجمال الناعم... ونستدل من خلال المتتابعات اللحنية جماليات الدراما في التوزيع الموسيقي. حيث يقيم حوارات بين آلة البيانو في مقدمة اللحن. وبين الكمان والكونترباص منفردين في الخلفية... وتتسلل آلة الأوبوا لتعطي اللحن النغمة الأعمق. ولتتبعث في مجموعة آلات الكمان الانساق والهارمونى.

«كليوباترا» في انتظارها المشوق إلى حبيبها «يوليوس قيصر» تصلي إلى ربة الجمال «فينوس» لكي تهبها كل السحر والفتنة التي لإله الحب «كيوبيد»... تصور لنا آلات الكمان مدى إعجاب «كليوباترا» بقوة وسحر جمالها على الرجل الذي قهر العالم بشجاعته وشدة بأسه.. إنها أغنية الاستعراض والإعجاب الساذج بالذات. وإنه لحن الأمل في السعادة الرقيقة بالفوز بتاج مصر وبحب «يوليوس قيصر» الدائم لها.

الإيقاعات دافقة ورشيقة يتتابعها التبدج والارتعاش أحيانا. والسرعة أحيانا أخرى.. وتتكرر الجمل اللحنية. لكن في كل مرة يكتسب اللحن ظلالا من المشاعر والأحاسيس... إنه مهرجان للغناء

يجمع بين الألحان المنفردة والثنائية في حركة ديناميكية درامية. تتسم بالنمو والتصعيد. المواكب للموقف والحدث. بالقدر الذى يسمح به العمل الموسيقى الأوبرالى للاستحواذ على الجمهور المشاهد طوال فترة العرض التى تستمر ثلاث ساعات.

إخراج جون كوبلن» مبهر وجذاب. ولا يقلل من التأثير القوى لديكورات «جون باسكو» وتصميمات ملابس «مايكل سيتنيت». بعض المبالغة في ملابس المصريين ببنطلوناتهم المتسعة الفضفاضة والفساتين المنتفخة التى كانت تعوق الحركة في بعض الأحيان. أما قائد الأوركسترا «تشارلز ماكيراس» فبتعمده الإبطاء والسرعة في بعض الجمل اللحنية كان له تأثيره الكبير في إعطاء أقصى انفعال واضفاء السمة الدرامية على العرض.

❑❑❑

رقصة طائر متألم من كوريا الجنوبية

ايقاع هادئ كخرير جدول. ينحدر عن يد تسدق طبلة. وعن أصابع تنقر على وتر مشدود.. الإيقاع يتردد في فضاء المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. يمتزج بحركة جسد إنسان قادم من قرية كورية يحفها جبل وجدول وحديقة ورد.. هذا رجل من كوريا. فوق مرتفع صخري. يبدأ في الرقص.. وهذه فتيات كوريات على السفح الأخضر المنبسط. يرحن أجسادهن من العمل الشاق في الأرض. يتأهبن للدخول في حلقة الرقص بين أشجار التوت.

هذه كوريا التي شاهدها العالم ترقص. عبر القمر الصناعي وعلى شاشات التليفزيون. منذ سنوات في افتتاح دورة الألعاب الاولمبية بالإستاد الكبير في العاصمة «سول».. وهذا هو الإنسان الكوري الذي انتزع لنفسه مكانا بين الدول المتقدمة بعد سنوات من العمل الشاق.

على وقع خرير الجدول المنبعث من عزف الوتر الفنان. تتفتح أجساد مجموعة الراقصات من الفتيات الكوريات مثل حديقة زهر.. تتقدم فتاة صغيرة جميلة. تضرب بذراعيها الهواء كطائر غرد يشرع في الطيران إلى الأعالي.. والراقص الرجل في مرتفعه الجبلي. يقص بحركات الجسد والذراعين وبتعبيرات الوجه والعينين. قصة بزوغ نجم كوريا السعيد في سماء الغيوم والعتمة.

تظل أنوار المسرح تلتقط دائرة ضوء على رقصة «راهب بوذى» فى رداء الأبيض. تصاحبه أصوات موسيقية من التراث القديم. كأنها العويل وحشرجات البكاء.. إنها الحيرة ترسم للراهب حركات الرقص.. إنه الإنسان الكورى الحائر بين تعاليم بوذا وحكم كونفوشيوس.. وبين صوت السؤال فى النفس القلقة تبحث عن سلام العقل. وعن يقين يطمئن له القلب المعذب ويستريح.. إنها روح كوريا السمحة التى ترحب بصلوات مسلم كورى فى المسجد المركزى بالعاصمة سول. أو فى المركز الإسلامى بمدينة بوسان.

يضرب الراهب البوذى بيديه فى الهواء.. يتماوج الجسد مع تموجات البكاء فى الموسيقى المحملة بعويل الريح فى معبد بوذى منجور بأعلى الجبل.. يخرج الراهب من بين تلافيف الرداء الأبيض الفطفاض عصاتين يضرب بهما فوق طبلة فى الفراغ المحيط. محاولا إسكات صوت العويل ليسمعنا صوت إيقاع حياته الجديدة.

يستيقظ الإيقاع فى رقصة «أين نحن».. ينفض عن عينيه قهر أربعين سنة فى ظل احتلال يابانى.. يتردد الإيقاع فى أجواء المكان حرا متحديا. يرسل أسئلته فى كل اتجاه.. ويدخل الجسد المشهر كالسيف فى دائرة الضوء. يبعث فينا لحنه الجميل وإيقاعه القوى.

لكنه الحزن. يعلن عن نفسه بين حنايا الرقص نغما وحيدا لا ينتظمه الإيقاع الواحد الذى أملى شروطه على الطائر الكورى

الخارج من القفص الياباني.. تشكيل راقص على هيئة طائر لا يستطيع التحليق. ولا يمكنه التحديق في عيون الشمس الحمراء المشرقة في الخارج.. إنها الحرية المفتقدة رغما عن مجتمع الوفرة والرفاهية.

الألم يعتصر أجساد الراقصين والراقصات.. ينتحب اللحن القادم من زمن أتاح لأجنبي أن يقطع بسكين قلب كوريا إلى شطرين.. يسري الغضب في النسيج اللحني وفي حركات الرقص.. هاهم طلبة الجامعة يتظاهرون في «سول» العاصمة ويحرقون العلم الأمريكي الذي يرمز إلى ثكنة عسكرية. تضم الآلاف من الجنود. تجثم فوق أرض الجنوب الكوري.

سؤال حزين يتردد صداه في حركة الجسد وفي نسيج النغم: أين نحن من وحدة شطري كوريا؟.. أين نحن من التئام جرح القلب وعودة الجسد الكوري سليما معافى؟

صوت الموسيقى يحاكي صفير الريح. وأنفاس كائنات ليلية. وصخب البحر.. تتشكل الرقصة «هوال». تكوينات جميلة ترسم لنا ملامح كوريا الجديدة التي تتقدم في ثقة وثبات نحو مستقبل أكثر عدلا وإنسانية وحرية.. هو الرقص. يرسم بحركة الجسد لوحات التشكيل في الفراغ. وهي الموسيقى تلون المشهد بقطع من بللور وتسكب فيه قنينة عطر.

ترقص «كيم مايجا». مصممة رقصات فرقة «تشانج مو» ومديرتها. الرقصة المنفردة «شوم» بمصاحبة موسيقى من التراث الكوري..

وكما يمسك الرجل من صعيد مصر - مرتديا جلبابه الفضفاض - بالعصا ويرقص في زهو وكبرياء ورجولة على إيقاع الطبل ونغم المزمار، تمسك «كيم مايجا» بالعصا وتقدم ساقا إلى الأمام وبالساق الأخرى تضرب الأرض.. إنها رقصة من كوريا. تمتزج خطوطها بخطوط رقصة التحطيب بصعيد مصر. وبشيء من حركات راقص يوناني في مقهى صغير يطل على البحر الأبيض المتوسط.

على المسرح الكبير بدار الأوبرا. نشهد فرحة كوريا بفلاحها المحبب للأخضر في الحقول.. في دائرة الرقص التي ينفرط عقدها وينتظم في تشكيلات ملونة يغمرها الضياء. نشهد فلاحات في عمر الزهور. يرقصن وهن يحتضن آلاتهن الموسيقية: الجونج الكبير. الجونج الصغير. الأوبوا. الطبول.. اللحن الشجي والرقص السعيد يرسمان في فضاء المشهد صورة شخصية لفرح فلاح يبهجه النغم الصادح من آلة «أوبوا» في ثغر فتاة صغيرة جميلة قادمة من قرية كورية يحفها جبل وجدول وحديقة ورد.

❑❑❑

فرحة الرسم الشاعرى الحزين

ينفتح ستار مسرح الأوبرا على إحدى الجزر اليابانية. يحيطها البحر من كل جانب.. اتساع ورحابة فى المنظر. وجمال واحكام فى التشكيل.. خشبة مسرح دار الأوبرا المصرية لوحة تشكيلية مفرداتها منظر جميل. وأضواء. وألوان بهيجة. وشخوص ثلاثة يعيشون المنفى ويعايشونه لثلاث سنوات.. فراغ وفضاء لانهائى لا يعتد كثيرا بإيقاع الزمن الجامد.

على يسار خشبة المسرح. الراوية المغنى. والعازف على الأوتار- فى مرتفعها الذى لا يبرحانه- يصاحبان الحدث العاجز عن الحركة والمنظر الساكن بالغناء والموسيقى.. أحزان المنفى. والحديث عن الوطن المفتقد. والطاغية كيومورى. يجمع بين المنفيين الثلاثة: شونكان. ناريتسونى. وياسويورى. فى مستقرهم بأرض الجزيرة.

يتحرك المشهد الساكن. وتدب الحياة فى إيقاع الصوت. وتصحو المرئيات من سباتها على وصول سفينة قادمة من البعيد. تحمل أملا فى عفو العاصمة وفى عودة المنفى إلى وطنه.. وتتوالى مشاهد الفرح والغضب والحزن والعراك الذى يؤدى إلى تخلف «شوكان» عن ركوب السفينة العائدة إلى العاصمة.. وحيدا «شوكان» فوق أعلى صخرة بالشاطئ يلوح بيديه للعائدين. ويرسل النظر وراء السفينة الراحلة.. جامد الملامح

والقسمات يكوّن مع بقية العناصر والمفردات اللوحة المسرحية التشكيلية ذات الإيقاع الخافت واللون البهيج والضوء الباهر.

التوصل إلى درجة عالية من درجات التلقى يتطلب من المشاهد بذل بعض الجهد للتغلب على مانع اللغة اليابانية وبطء الإيقاع. وذلك بقراءة موضوع عرض «الكابوكى» القادم من الشرق البعيد. المدون فى الكتيب المصاحب للعرض. ومطابقته بما يدور من أحداث مرئية وصوتية على خشبة المسرح. بالإضافة إلى محاولة التعامل مع إيقاع المشهد على اعتبار إنه لوحة تشكيلية تحتوى بداخلها المنظر والضوء واللون والديكور والملابس والحدث المصاحب بالغناء والموسيقى.

إذا كنا قد تعودنا على الشكل المسرحى الوافد من الغرب بأساليبه وتقنياته وإيقاعاته اللاهثة المتوترة. سواء التى تحتفظ للمشاهد بحقه فى الإيهام المسرحى أو التى خرجت على هذا الحق وكسرت الإيهام. فإن نمط «الكابوكى» كشكل مسرحى وافد من الشرق يمنح الإيهام ويمنعه فى الوقت نفسه. الشىء الذى يقتضى منا أن نعطيه أنفسنا وعيوننا. ليعطينا هو فى المقابل. متعة للبصر من خلال جماليات التشكيل. وراحة للنفس عن طريق إيقاع مسرحى هادئ ومتأمل وغير متعجل.

ينفتح ستار مسرح «الكابوكى» اليابانى مرة ثانية عن مشهد جميل ورقصة ناعمة «عذراء الوستريا». فيها من الشعر قدر ما فيها من الموسيقى والرقص.. هى الرقصة التى تستأذن شقيقها النغم الموسيقى. لتراقص رسما شاعريا حزينا. فيأذن لها. فتراقصه على دقات الإيقاع

وبحبة النغم الموسيقى الشقيق. حتى تستحيل الرقصة رسما عبقريا. ويتجسد الرسم الشاعرى الحزين رقصة للفرح.

روح شجرة «الوستريا». بعناقيد زهورها المدلاة. وبلونها البنفسجى الحزين. تسرى فى جسد العذراء الجميلة وهى ترقص وعلى كتفيها عنقود الزهر.. والموسيقى العذبة والغناء الحزين الجميل يصاحبان الرقص فى حنو ورقة.. والمشهد الجميل فى تمامه. شعاع من ضوء الشفق ينغرس فى الفضاء البعيد كخنجر. فتلملم «عذراء الوستريا» ثوبها البنيج وعناقيد زهورها وفرحها. وتتلاشى فى الضوء الشفقى كجملة موسيقية تبحث عن إيقاعها.

وللمرة الثالثة ينفتح ستار مسرح «الكابوكى» القادم من الشرق البعيد عن رقصة «بو شيبارى». التى تجمع بين الفكاهة الناعمة والسخرية الشفيفة. وبين الرقص والتمثيل الصامت. فى محاولة للانتصار للإنسان العادى فى علاقته «بالسيد» الذى قد يفوقه فى المال والنفوذ. إلا إنه لا يفوقه ذكاء روح وجمال نفس.

«عذراء الوستريا» الناعمة الشاعرية. و«بو شيبارى» الفكاهية الرشيقة.. رفعتان قدمتهما مسرح الكابوكى اليابانى للجمهور المصرى فى دار الأوبرا المصرية. كمكافأة له على إدراكه أن ثقافة الحواس تتطلب منه بذل الجهد فى فهم واستيعاب فنون وثقافات العالم المختلفة. تماما كالمحب الذى لا يمكنه المحافظة على حبه إلا إذا قام ببذل مزيد من الجهد فى فهم الحبيب.

خيوط دانتيلا على نسيج موسيقى ناصع البياض

دقت ساعة بيج بن دقاتها الخمس معلنة عن انتهاء ساعات عمل يوم الجمعة وبدء عطلة نهاية الأسبوع.. قطارات الأندرجراوند داخل الأنفاق تحمل العاملين والعاملات إلى البيوت. لتعود وتحملهم من جديد عند خروجهم للقاء الأصدقاء واصطحابهم إلى مسرح أو سينما أو دار للأوبرا والباليه أو قاعة رقص.

أمطار شهر نوفمبر تنسكب غزيرة على شوارع لندن. ومنازلها. وعرباتها المسرعة تلتقط المارة. الذين حاصرهم المطر وسارعوا للاحتماء بمداخل البنايات الكبيرة.. الخطوات سريعة متلاحقة على رصيف تنعكس عليه كشافات الإضاءة الأمامية لسيارات الأجرة السوداء. وأنوار واجهات دور السينما وقاعات الرقص والبارات وصالات الألعاب الإلكترونية والمطاعم والفنادق... الوجوه متوردة. والأجساد متلفعة بأزياء الشتاء. والأيدى ممسكة بالمظلات الملونة والسوداء اتقاء للمطر.. والأعين تبحث فى عجلة عن مقهى قريب لتناول كوب من الشاى الساخن أو قدح من القهوة.

«جانيكا». القادمة من اسكتلندا لتعمل بتدريس اللغة الإنجليزية للأجانب فى لندن. موعدى معها لمشاهدة أحد عروض الرقص على

الجليد... القاعة تمتلئ مدرجاتها بالمتفرجين فى حلقة تلتف حول بساط أبيض ناصع... تخفت أضواء القاعة قليلا. وتنسكب دائرة الضوء على «تورفيل» و«دين». الثنائى الراقص فى زيهما البرتقالى يرتديان فى قدميهما حذاء التزلج.. من بين السكوت تتصاعد نغمات الموسيقى. وسعيا تتلمس أقدام الثنائى الجميل خيوط النسيج اللحنى كما لو أنهما زهرتا عباد الشمس تتفتح أوراقها. تنظر للندى والنور والضياء الباهر للشمس الحمراء.

ذراع «دين» اليسرى تلتف فى حنو حول خصر «تورفيل». التى تلمس بذراعها الأيمن أعلى كتفه... القدم اليمنى لكل منهما داخل حذاء التزلج تشق طريقها على البساط الأبيض. والقدم اليسرى مشرعة فى الهواء إلى الخلف... الذراع الأيمن لـ«دين» والذراع الأيسر لـ «تورفيل» يرسمان فى الفراغ النغمة العاطفية.

كما خيوط الدانتيلا المذهبة ترسم نقوشها وتصاويرها الدقيقة على النسيج الحريرى الأبيض. وكما نثار النغم النشوان ترسله أصابع رقيقة على أوتار آلة موسيقية.. فى بطء وعلى مهل تستفيق «تورفيل». ترفع رأسها المسندة على صدر «دين». تنشر ذراعيها إلى أقصى اتساعهما فى الهواء تنشد التحليق والطيران. لكن «دين» إلى جانبها. فاتحا ذراعيه من حولها. رفيقا بها. حانيا عليها. راسما بجسده موسيقى الفرح واللحن السعيد.

يخفت اللحن الصادح ويموت مخلفا وراءه بقايا نغم أسيان أجش.. تتشابك الخيوط اللحنية وتتجمع لتصنع معزوفة الألم والعجز عن التحقق... و«تورفيل» و«دين» يرقصان كما لو أنهما يهربان من شيء ما، أو يبحثان عن وردة الصقيع... رقصاتهما الحرة يسودها التناغم والتوافق بين الحركة والإيقاع والتعبير التمثيلى الصامت. تنتقل بنا من أجواء المأساة إلى الكوميديا وإلى السيرك، فى تكنيك عال ومهارة مذهلة، لكنه الفن الجميل الذى يحرك المشاعر ويثير أرق الأحاسيس.

«جين تورفيل»، موظفة بشركة تأمين، و«كريستوفر دين»، شرطى.. كلاهما من «نوتنجهام» إلى الشمال من «لندن».. بعد تركهما وظيفتيهما. كونا معا الثنائى الراقص، الذى يتشكل على أرضية من الجليد الناصع البياض صورا وخطوطا وألوانا وأضواء وظلالا وموسيقى، ويبعث فى داخلنا صيغة من الانسجام المتزامن. محدثا نوعا من الاستجابة المتناغمة، فتخلق فى الفوضى نظاما. وتضفى على العالم الاتساق والمعنى والجمال.

الرقص على الجليد، هو الابن الشرعى الفنان لرياضة الانزلاق على الجليد.. لكن الفارق كبير بين الابن الفنان والأب الرياضى الذى مكانه أعلى جبال الجليد فى الشمال البارد، تماما كالفارق بين فن الباليه وألعاب الجمباز.. وفى حين يمكن للرياضى الذى يمارس التزحلق على الجليد فى أعلى الجبال أو للاعب الجمباز أن يذهلنا بحركاته

واستعراضاته التى تخلب اللب، إلا أنهما يعجزان عن إثارة الشعور والإحساس بذلك الوهم الجميل الذى يبثه فينا فنا الباليه والرقص على الجليد.

إذا كانت موسيقى الجاز أو موسيقى الروك تعد فاكهة محرمة لغالبية فرق الباليه، فإن الراقص على الجليد قد أتيح له من الحرية فى الخطوات وحركات الرقص ما يحسده عليها راقصو الباليه.

❑❑❑

شاعر الموسيقى شوبان

المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية غارق فى السواد... الضوء يغمر فضاء خشبة المسرح فيكشف عن تشكيل جميل لمجموعة راقصات وراقصين من فرقة باليه «لينينجراد» على شكل نصف دائرة... مع نثار الموسيقى المتصاعدة من ضربات يد شوبان على مفاتيح آلة البيانو. يستيقظ الجمال النائم فى الحركة. التى رسم لها الخط واللون. مصمم الرقصات «فوكين».

إنه الشعر. ذلك المنثور فى نسيج حركة الأجساد أمامنا... وإنه «شوبان». شاعر الموسيقى. نستمع إلى صوت موسيقاه التى تحاكى أصوات البلابل والعصافير. ووقع كرات الثلج على أوراق شجر الخريف. وخرير جدول. وضحكة بهيجة تنساب كنغمة عاطفية تتناقلها نسمات مرحة... وإنه أيضا مصمم الرقصات «فوكين». الذى عرف كيف يستنهض الروح الشاعرة الكامنة فى نسيج اللحن. ليعيد تشكيلها فى صورة قصيد حركى شجى.

باليه «شوبنيانا». الذى قدمته فرقة «لينينجراد» على مسرح دار الأوبرا المصرية. لا يتبع تفاصيل أحداث تقع لشخصيات محددة فيقصها علينا من خلال الرقص... فمنذ أول ضربات على مفاتيح البيانو. نشهد مجموعة راقصات. بشعورهن المعقودة فى ضفائر مزينة بأزهار بيضاء.

وبأجنحتهن الفضية عند الخصر، ينطلقن فى فضاء المسرح. يرسمن شعر الحركة المعبرة عن أدق المشاعر والأحاسيس التى اختلج بها قلب «شوبان». ذلك الملاك الحزين المسكين. كما وصفته الأديبة الفرنسية «جورج صاند».

باليه «شوبنيانا». تشكيل موسيقى مكون من أربع رقصات فردية. ورقصة ثنائية. ورقصتين جماعيتين فى البدء والختام... هذا الباليه الذى يعد من أنقى الباليهات الرومانتيكية وأكثرها نعومة وشفافية ورقة. يتفرد برؤية شاعرية تتجلى فى غنائية الخطوط. التى صممها «فوكين» لموسيقى شوبان العذبة. بما تنثره فى أرواحنا من أفراح ومسرات.

الرقصة الجماعية «نوكتيرن» داخل الخيمة التى نشرها الليل على الكائنات. تنقلنا من خطوات الراقصات إلى عالم علوى جميل وراق. صنعه لنا «شوبان» من صوت الموسيقى... فى فضاء المسرح تنساب وتتموج موسيقى «شوبان» فى خطوط لحنية متناغمة ومؤتلفة. فى رقة تحاكى رقة مياه الجدول حين يضطرب ويرتبك عند اقتراب أنفاس نسمة ندية محبة لونتها أشعة الشمس فى صباح جديد.

إنه حزن «شوبان» المتوحد فى ركنه القصى بعيدا، عن حلبة الكلام وشبكة العلاقات ودوائر الضوء والنفوذ. ذلك الذى نسمعه بعيوننا ويتشكل أمامنا لوحات مصورة. يتعانق فيها الصوت الموسيقى العذب والحركة الشاعرة.

رقصة «الفالس» الناعمة الأسيانة المحملة بذوب حنان افتقده «شوبان» فيما حوله من الأحياء والأشياء... هاهى رقصة «الفالس» تسكب خيوط نسيجها النغمى أشكالا وصورا نقية صافية، تبحث عن المثال الجميل الذى لملم أشياءه القليلة ورحل إلى حيث وطن الروح... لكن البهجة الحلم من مكانها العالى. تتطلع إلى وجه «شوبان»، الذى يتصارع على صفحته الانفعال والسرور، وهو يضرب بأصابعه على مفاتيح البيانو فى عنف ورقة... تنزل إليه لترقص له رقصة «المازوركا» لعلها تجلب إليه بعض السرور وشيئا من الفرح... ويستجيب «شوبان» مؤلفا رقصة «مازوركا»، تغتبط لها البهجة وتومئ له وتبتسم.

لكنه الحزن المقيم فى أعماق قلب «شوبان»، مودعا رقصة «المازوركا»، يبحث عن رفيق يشاركه رقصة «الفالس» المتألقة فى ليلة اكتمل فيها القمر... وهاهو جمع الراقصات والراقصين يرقص «الفالس» تحية لشوبان الملاك الحزين المسكين. الذى يمنح وجهه وابتسامته للقمر فى تمامه، وللاحتفال الراقص المبتهج.

❑❑❑

الجميلة نفرتارى

ينفتح ستار مسرح دار الأوبرا المصرية عن صعيدى من مصر الحديثة. فى جلباب أبيض وعمامة ناصعة البياض، يسند ظهره إلى جدار معبد الملك رمسيس الثانى فى مستقره بجنوب الوادى. مرسلا النظر إلى البعيد فى جلسته المسترخية المتأملة.

الضياء الباهر لشمس الصعيد يغمر المكان. ومع خيوط أشعتها الأرجوانية. الساقطة على جدران المعبد الشاهق ونقوشه الغائرة. تنفرج شفاه الصمت عن فرحة النغم الموسيقى النشوان برقصة احتفالية ناعمة. يسفر عنها المشهد الساكن من مشاهد الباليه اليابانى «السكون والحركة: السراب فى أبى سمبل»، كتب السيناريو له وأخرجه «ك. كاسومى»، ووضع موسيقاه «ش. ايكابه».

خلف غيمة رمادية يختفى قرص الشمس من لوحة الرقص، ويخفت النغم الصادح، ويحول اللون، وتسكن الحركة... الملك رمسيس الثانى يظهر مع ظهور قرص الشمس الأحمر فى صحبة «نفرتارى» الجميلة المحبة.. هل مرض الحب – وقد هاجم القلب ذلك المتقلب غير المستقر – هو ما يبدو على الوجه الشاحب للملك «رمسيس الثانى» وعلى خطواته الذابلة؟

قلب «نفرتارى» المحب يعتصره الألم. وجسدها الرشيق النحيل يرقص. لعل الرقص يرتفع بأحاسيس الغيرة التى تنهش روحها وهى ترمق «نفرورا» الفاتنة فى رقصة حسية تجمعها والملك رمسيس الثانى.

جميل أنت أيها الرقص. تذهب بألم القلب. وتمنحنا البهجة والفرح والتسامى.. وجميلة أنت يا نفرتارى وكبيرة الفؤاد. فها هو ذا الملك يعود إليك سليما معافى من نزوة ألمت بالجسد الفتى.

الصعيدى من زماننا فى جلبابه الأبيض وعمامته الناصعة. يسند ظهره إلى المعبد الشاهق والنقوش الغائرة على جدرانه متسائلا: هل الحركة حلت فى سكون الرسوم وأجرت الدماء فى عروقها الملونة؟

موسيقى الباليه التى وضعها اليابانى «ايكابه». وخطوات الراقصين والراقصات التى قام بتصميم حركاتها الإيقاعية «عبد المنعم كامل» و«شيجيو». رسمت فى فضاء المكان وفى السكون المضىء تشكيلات جمالية. عبرت بلغة موحية شفيفة عن الثابت والمتحرك فى الأصوات والصور.. ساعد على ذلك، جمال التشكيل المرئى والصوتى المتوازن والمتناغم. بالإضافة إلى تصميم ديكور المعبد الذى أضفى على خشبة المسرح سحر القديم وعراقته وجماله.

قـام بدور الصعيدى من زماننا اليابانى «تاكى هيرو كوياما»، والملك رمسـيس الثانى جسـده «مجدى صابر»، والجميلـة «نفرتارى» تبادل القيام بدورها «نادية عباس» و«سـاكيكو اراى»، وقـام بدور «نفرورا» كل من «منـال زكريا» و«هيسـاكو تاكابه».. وعزفت موسـيقى الباليه أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة «يوسف السيسى».

❑❑❑

النغمة العاطفية تعانق إيقاع «فلامنكوجاز»

على ضفاف نهر الألحان قوية التعبير الدرامى والعاطفى التى ألفها الموسيقى الإيطالى «جياكومو بوتشينى» (١٨٥٨ - ١٩٢٤) وضمنها أوبراه الشهيرة «لابوهيم». التى قدمت لأول مرة فى فبراير ١٨٩٦ على مسرح «ريجيو» بمدينة «تورين» الإيطالية. تأخذنا فرقة باليه أوبرا «فارنا» على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. لتنتقى من موسيقى «بوتشينى». ما يتواءم ورقصات باليه «لابوهيم». التى تتضمن مقطوعات من الموسيقى الحديثة «فلامنكوجاز».

منذ اللحظة الأولى ندرك أن باليه «لابوهيم» قد انتقى لنفسه خيطا من خيوط النسيج المغزول جيدا فى أوبرا «لابوهيم». وراح يغزل به أحداث باليه حديث على شكل قطعة من الدانتيل فى غير مكان وزمان الأوبرا الأم.. ها نحن نشهد فوق خشبة المسرح قاعة بروفات يدخل إليها مجموعة من راقصى الباليه فى صحبة لحن من موسيقى أوبرا «لابوهيم».. وهاهو مدرب الرقص يعطى إشارة البدء فى عزف مقطوعة من موسيقى «فلامنكوجاز» حديثة كتبها «فيتوديو نوسينترى».

موسيقى الجاز تشيع فى الفضاء صوت الطبول الأفريقية، التى جلبها الأفريقيون معهم إلى أمريكا منذ أكثر من أربعمائة عام.. إنه الإيقاع الصاخب الذى يبعث على المرح. ويجبر الآخرين على مسايرته

بالتصفيق على الأيدى وبدق الأقدام على الأرض.. وهاهو اللحن الأسيان الصادر من آلة «ساكسفون» ينفخ فيها عبد أفريقى فى ميدان «الكونغو» بمدينة «نيو أورليانز» القديمة.

لكن إيقاع «الفلامنكو» الأسبانى بجسارته وكبريائه. فى محاولة منه لاحتضان شكايات اللحن المتألم، ينادى على الجسد المشوق كحد السيف، وعلى الذراع القوى المستعد لخوض الصراع. وعلى القدم الواثقة تضرب أرض المدينة الظالمة، لعلها تقيم العدل من سقطته.

بانتهاء القطعة الموسيقية السريعة الإيقاع وحركات الرقص. تسقط «ميمى» إحدى راقصات الفرقة مغشيا عليها.. يهرع إليها المدرب «رودلفو»، ومعا يرقصان رقصات ثلاث على ألحان «بوتشينى» العاطفية.. لكن «موزيتا» الراقصة بالفرقة تسارع بعد انتهاء اللحن العاطفى النشوان بالرقص أمام «رودلفو» وبقية أفراد الفرقة على الإيقاع الصاخب.. ولا تملك «ميمى» إلا أن تدخل حلبة الرقص والمنافسة على حب المدرب دفاعا عن عاطفة نقية وحب كبير.

لحن موسيقى يتنقل كعصفور غرد مقتربا فى خفر وحياء من دائرة الإيقاع المحتفل واللاهى والذى لا يحفل كثيرا بمن حوله.. يرق اللحن المتوحد والمتألم. ويخفت النغم الأسيان أمام عربدة الشر وصخبه وارتفاع صوته. فالحب لم ينشر خيمته الرحيمة على الكائنات. والعدل غير مقيم.

يتكسر اللحن الشجى وينفرط عقده. لا ينظر «رودلفو» وخز الإبر فى ذراع «ميمى». وتنتحب آلة «الكمان» حزنا على المشهد.. إنه إدمان المخدر قد استشرى فى الجسد الرقيق ونال منه ومن الحب الذى جمع بين قلبين صغيرين.

يرقص «رودلفو» الرقصة المنفردة التى تتألم حزنا على الوجه الشاحب ظللته سحابة قاتمة ذات صباح خريفى.. واللحن الصادح الجهير تسرب اليه اليأس. والجملة النغمية ارتدت السواد.. و«ميمى» مثل وردة فارقتها نضارة الحياة. تذبل ويذهب عطرها مع آخر أنفاس تتردد فى اللحن العاطفى عند الموسيقى «بوتشينى».

باليه «لابوهيم» الذى قدمته فرقة باليه أوبرا «فارنا» بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة «إيفان فيليف». عرض نجح فى أن يختار من مجموعة كرات الخيط الملون التى نسجت أوبرا «لابوهيم» خيطا. شكل منه الثنائى «ريناتوجريكو» و«ماريا تيريزا ديل ميديكو» مجموعة من رقصات. ترسم فى الفضاء الجملة اللحنية من موسيقى «بوتشينى». وهى تعانق إيقاعات «فلامنكوجاز» لـ «فيتوديو نوسينترى». فى تشكيل يميل إلى التجريد، دون أن يكلفه هذا الميل انحرافا عن حياة الواقع بصوره ومفرداته.

رحلة إلى بلاد الإغريق

صعبة

المنـال هى الحياة العاقلة، بعـد أن دب الضعف فى التقاليد والأعـراف، ولم تعـد العقائد تحمى الأخـلاق، وبعد أن عم الظلم وانتشر الفساد وسادت الفوضى.. لكنها التجربة التى يقودنا إليها طائر الفن الجميل، تبعث فى عقولنا المرهقة سلاما وانسجاما وحياة.

فى عرضها المستوحى من نص «عابدات باخوس» للشاعر اليونانى القديم «يوربيدس»، لم تخذلنا فرقة «لاكوادرادى سيبيا» الإسبانية على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. وقدمت لنا تجربتها الفنية محققة قـدرا كبيرا من النظام فى فوضى حياتنا، ولم نخذلها نحن بتعرفنا إلى الشعر الكامن فى المشهد والحركة والصورة.

السـؤال الذى يطرحه العرض: عبادة الإله «ديونوسوس»، هل هى ثـورة على قيود العقـل والتقاليد الاجتماعية المفروضة على الإنسـان، ومحاولـة للتوحد مع القوة العارمة والحيوية المتدفقة التى يتمتع بهما الحيـوان؟.. هل رفض الملك «بنثيوس» العبادة الجديدة، لأنها تشـجع على الفساد والفوضى وتهدد النظام الاجتماعى والأخلاق، وتغلب جانب الوجدان على العقل؟.. وهل كانت نهاية «بنثيوس» على أيدى «عابدات باخوس»، تمثل انتقام القوة الفطرية من حضارة العقل الأثينى، بعد أن التبس الأمر على «بنثيوس» فى لحظة ضعف؟

إنــه الصراع داخل الإنســان بين العنصر الوجدانى «ديونوسـوس» والعنصر العقلى «أبوللو». هو الذى يخلق الصراع التراجيدى. الذى عبر عنه العرض بشـاعرية وفى غير إغراق فــى التفاصيل الخارجية لملامح شخصيته أو فى زحام الأحداث.

لقــد أعطانا العرض وجهه الجميل والفاضل منذ اللحظة الأولى، فى تكوينات المشهد من حركة وتشكيل بالصوت والصورة. وفى الاستخدام الأمثل للظل والنور والإيقاع والنغم.

شاعرية فى الأداء بالحركة والصورة، وغلالة فلسفية تشيع فى صور المشــهد، وواقعية ســحرية تنتشر فى أشــكال تنتمى إلى عالم الطبيعة الجميل والفطرى، الذى يصل إلى عمق أرواحنا التى علاها صدأ العلاقات المشوهة وغير العادلة.

إنه الأسلوب فى عرض الفكرة التى شربت من ماء الحقيقة. والتعبير بالضوء واللون ودرجات الظل.. وهو التعبير بصوت جواب النغم المنفرد لآلة الجيتار أمام الصوت القرار، الذى يمهد للحدث ويكشف عن بذرة الدمار القادم وهى تفعل فعلها فى النفس الداخلية للبطل التراجيدى.

طائــر الفن الجميل، لما يدرك ســر العقل الإنســانى وشــعر الحياة فى براءتها الأولى. لا يجد مشــقة فى أن يؤلف بين الجيتار الأندلسى والرقص الفلامنكو. وبين صوت الكورس الإغريقى القادم من ردهات معبد أثينى... ولا يجد طائر الفن الجميل عناء فى توصيل قصائده البصرية. التى يرسمها جناحه الملون فى فضاء المسرح. إلى أى من مشاهديه على اختلاف لغاتهم.

رقص كأنه الرسوم والأشعار

الإنسان

البدائـى فى رقصه للحزن والفـرح. تصاحب رقصاته طقوس تمنحها الفكرة النبيلـة والمعنى المقدس.. هذه الطقوس تدلنا على قدر احترام الإنسـان الأول لجسده كوعاء للغريـزة. وتحثنا فى الوقت ذاته على أن ننظر إلى رقصات الباليه الحديث نظرة أكثر حنوا. فى محاولة منا للوصول إلى درجة أعمق من الفهم.

إيقـاع ينظم حركـة الراقصين والراقصات فى التعبير بالجسـد عن فكرة ومعنى. وتناسـق بين جسد الراقص الفرد وروحه يصل بالمجموع الراقص إلى أعلى درجات التوافق الحركى والنفسـى.. هذا ما تبثه فينا رقصات فرقة باليه «رامبرت». أقـدم فرق الباليه الإنجليزية وأكثرها شـبابا. وهى تقدم عروضها على مسرح البالون بالقاهرة. لثلاث ليال. حضرها أعداد كبيرة من الجمهور المصرى والأجنبى.

إذا كان البعـض يـرى فى الباليه الكلاسـيكى ونماذجه الشـهيرة مثل «جيزيل» و«دون كيشـوت» و«كوبيليا» و«الجمال النائم» شـيئا من جمـال شـكل، لا يحمل مضمونـا حقيقيا. يمكنه من مخاطبة إنسـان العصر الحديث بمشـاكله وتعقيداته وأزماته الروحية. فإن هناك أيضا من يحمـل على الباليه الحديث. ويذهب فـى عدائه له أن يصمه بأنه

لا يخرج عن كونه حركات متشنجة. أقرب إلى مخاطبة الغريزة منها إلى مخاطبة النفس الداخلية للإنسان المعاصر.

من هنا يأتي النجاح الذي تحققه فرقة باليه «رامبرت» في جمعها بين إتقان راقصيها للتكنيك الخاص للباليه الكلاسيكي. وبين تكنيك الباليه الحديث. فتأخذ من الباليه الكلاسيكي. جماليات شكله. وقواعد لغته الراقصة وتركيباتها وصياغاتها المختلفة. لتعبر من خلالها عن مضمون ومحتوى قريب إلى هموم وأزمات إنسانية عامة.

عبر الرقصات الأربع التي قدمتها الفرقة: «حلم السيرجنت إيرلي» للمصمم «كريستوفر بروس». و«الموت والفتاة» للمصمم «روبرت نورث». و«فالس هجي» للمصممة «لوسي بينون» و«العلاقات الخطرة» للمصمم «ريتشارد الستون».. تصلنا محتوى الرسالة ونتفهمها من خلال شكل الحركة وإيقاعها. ومن خلال العلاقة بين الأشكال الحركية. وهي تتبع بعضها بعضا في سياق إيقاعي متصل ومتنام.. كما تعكس لنا الرقصات انفعالات وتجارب وخبرات تقدمها لنا ذاكرة أجساد الراقصات والراقصين.

الإيقاع واللحن يتناوبان النسيج الحركي والسياق الصوتي والمرئي الذي ينظم تشكيل الرقصة.. ونكاد في بعض الأوقات نشعر أن تلقائية وعفوية تقود حركة الأجساد. لكننا بإمعان النظر جيدا نستشعر نظاما دقيقا وصارما يختفي وراء الحركة المنسابة كنغمة عاطفية أسيانة.

رقصات تتشكل أمامنا كأنها الرسوم أو الأشعار. وتتسلل إلى عمق أرواحنا مع شجن صوت مغنية الأوبرا «جاكي مكارثي». ومع أغنيات شعبية إنجليزية وأيرلندية وأمريكية. وبعض ظلال لحنية من الشرق البعيد، نستروح أنفاسها تتردد عبر آلات المندولين والمزمار والجيتار والفيولينة والتشيلو والبيانو. إلى جانب الصوت البشري العظيم بإمكانياته التعبيرية الكبيرة.. وشيء من مرح وفكاهة. يتداخل في نسيج الرقصة، مصدره صرامة نظام متجهم يخرج عليه عنصر حركي ساخر غير متوقع يريد فكاكا من أسر القيد وجائر الأغلال.

❑❑❑

مصرع حب عظيم فى مجتمع مزيف

هذا المجتمع غير الفاضل. الذى يرحب بعلاقة عابرة ووقتية بين رجل وامرأة فى الخفاء وفى ظلام الستر ويحرض عليها، فى حين يقف بكامله ضد رغبة اثنين يؤلف بين قلبيهما حب عظيم معلن وواضح.. هذا المجتمع الذى يتغذى على الزيف ويخاف النور، نجده فى روسيا أواخر القرن التاسع عشر. الزمن الذى كتب فيه «تولستوى» روايته «آنا كارنينا»، كما نجده فى مجتمعات من زماننا.

ولأن الحب العظيم لا يعترف بالتصالحات ولا يقبل بالتنازلات. فالصدام بينه وبين المجتمع المزيف أمر واقع ومحتم.. ويموت الحب العظيم فى المجتمع الشرير.

«آنا كارنينا»، جميلة الروح. ذكية الحس. تملك الصدق ونقاء السريرة، وتهفو روحها إلى التحرر والانعتاق، لكنها أمام واقع شرير تتنكر لفضيلة الصدق وتعيش مع زوجها «كارينين» فى الوقت الذى يتحرك فى أحشائها طفل حبيبها «فيرونسكى».. ولأنها لا تستطيع الكذب طويلا على نفسها أو التواؤم مع كذب الحياة من حولها، فهى تظهر تحديها لأخلاقيات مجتمعها وتقاليده وأعرافه. ويصبح من المحتم على الخارج والمنشق أن يموت تحت عجلات قطار.

«فيرونسكى». يستغرقه حب «آنا». لكنه يجد نفسه فى النهاية غير قادر على فهمها أو منحها سلام العقل الذى فقدته. فهى لا تستطيع الاستمرار فى حبها له دون الحصول على الطلاق من زوجها. كما لا تقوى على الحرمان من رؤية ابنها «سوليوشا».. ومن ثم تجد نفسها فى موقف لا رغبة لها فى قبوله. ولا قدرة لها على التحكم فيه وتغييره.

و«كارينين». زوج «آنا». ليس الرجل الذى بلا قلب. لكنه لا يستطيع أن يفهم لماذا يجب عليه أن يفقد كل شىء. كما أنه نوع من البشر فى استطاعته العيش والتواؤم مع الزيف فى غير عناء كبير.

من قصة الحب التراجيدى بين «آنا» و«فيرونسكى». نسج الموسيقى الروسى «تشيدرين» موسيقى باليه «الحب والموت لآنا كارنينا». صمم رقصاته وأخرجه «فيكتور سميرنوف جولوفانوف».. فى العرض الذى قدمته فرقة الباليه الكلاسيكى الحديث من موسكو على مسرح دار الأوبرا المصرية. تكاد جملة «تشيدرين» الموسيقية التى تتلبس جسد «آنا» و«فيرونسكى» أن تبوح لنا بسر الشخصية الروسية. وتحدثنا عن روسيا تشيكوف. وجوركى. وبوشكين. وتورجينيف. وديستوفسكى.. إنها الفكرة التى يكتبها «تولستوى» الروائى. تعانق النغمة التى تكشف عن أعماق النفس الداخلية للإنسان الروسى. ذكى الحس جميل الروح. هو ما نشاهده رسما ملونا مموسقا فى فضاء المسرح. يخاطب فينا منطقة الصدق. ويستدعى من داخلنا الأجمل والأطهر والأنقى.

هل لأن «تشيدرين» الروسى. كان أكثر اقترابا من روح روسيا التى دارت على أرضها قصة حب «آنا» الفاجع؟.. وهل هى أجساد الراقصات والراقصين الروس التى رسمت تضاريس النفس الروسية فى نقاط ضعفها وقوتها وظلها ونورها. وأبانت عن حديثها المتفرد المتألم. هو ما جعلنا نصدق «آنا كارنينا» ولا نصدق كثيرا «روميو وجولييت». القصة التى وقعت على أرض قرية فيرونا الإيطالية. وكتبها للمسرح وليم شكسبير الإنجليزى. ووضع موسيقاها تشايكوفسكى الروسى. وكذلك «كارمن» الغجرية الأسبانية. التى وضع لها الموسيقى تشيدرين الروسى. مستوحيا موسيقاها من موسيقى أوبرا جورج بيزيه الفرنسى؟

إنه الجسد الراقص. لما تتلبسه الفكرة وتعانق النغمة الصحيحة روحه. نجده منتشيا بالصدق. ينشد الخلاص والانعتاق والتحرر من قيود شريرة وظالمة. تنشب أظافرها فى لحمه الحى. وتشرب من دم العروق.. إنها الموسيقى. اللغة الفاضلة. تنادى على الجسد لعله يستيقظ ويضرب بقدمه الأرض الغافلة الساكتة عن الحق. ويشرع ذراعه كخنجر فى وجه الريح غير المواتية. ويتقدم بصدره العارى إلى الأمام. لا يعبأ بالأخطار التى تحيق به. فى رحلة السعى الشاق. طلبا لوردة العدل الجميل تنشر عطرها فى فضاء المدن.

الصوت البشرى يصاحب اللحن الرشيق المرح

تاتى أحداث أوبرا «زواج فيجارو» التى قدمتها فرقة أوبرا القاهرة وفرقة كورال الأوبرا وأوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة النمساوى «توماس كريستيان دافيد» والمصرى أحمد الصعيدى. على خشبة المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. لترسم حدود العلاقة بين الخادم «فيجارو» والسيد الكونت «المافيفا». ولترسم حدود حركة النغم الموسيقى الرشيق والمبتهج وهو يعانق الحوار الأنيق الذى ينقل لنا حيل وألاعيب «فيجارو»، التى تحمل فى طياتها نقدا ساخرا للأوضاع الاجتماعية السائدة فى أوروبا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر.

إنها موسيقى «موتسارت». التى تأخذنا معها إلى عالم جميل ملون بهيج، وتجعلنا نحس أن الحياة جميلة وتستحق أن نعيشها. مادامت هذه الموسيقى تسكب فينا حلاوتها وبهجتها، ومادمنا قادرين على أن نستشعرها ونتذوقها.. وإنه اللحن الرشيق المرح. يتغنى به الصوت البشرى العظيم، يمنحنا الإيقاع الراقص النشوان. لعلنا ننقذ نغمة حيرى متفردة فى داخل أرواحنا قبل أن يغتالها سجن واقع رتيب.

فى موسيقى «موتسارت» التى تبعث فينا مرح الإيقاع وتوقظ فى

داخل كل منا تلك المفردة المتوحدة... من الممكن بالجملة الموسيقية في الأغنية الفردية داخل النسيج الأوبرالي. وفرغنا من الكلمات الأصل (الإيطالية). وقام بعملية زرع كلمات أخرى جديدة (عربية) داخل رحم أغنية فردية عاطفية؟

صحيح أن الجمل اللحنية للأغنية الفردية أو الجماعية التي كتبها موتسارت، لاتزال تحتفظ بجسدها اللحني الجميل. لكن أغنية موتسارت كالروح سوف يخلق صوتها فوقها. خاصة وأن جسد الكلمات (العربية) الجديدة. بالترجمة. قد اعمل فيها التقطيع حتى يمكنها أن تمتد مقاطعها وتقصر تبعا للامتداد والقصر في الجمل الموسيقية.

من أين لنا ذلك الشاعر الذي يتقن الإيطالية والعربية. والدارس للموسيقى. وله تجربة كبيرة في الغناء الأوبرالي. ويكون في استطاعته الإقدام على عملية إجهاض رحيمة لأغنية فردية عاطفية من حملها اللغوي. الذي جاء نتيجة لحظة خلق فني. من أجل زرع جسد لغوي آخر. بعد مد مقاطعه وقصرها. لتناسب الوعاء الموسيقي الحامل للأغنية؟

من الجميل أن تقدم فرقة أوبرا القاهرة بدار الأوبرا المصرية عروض الأوبرا العالمية مترجمة إلى اللغة العربية. إلا أنه من الأجمل أن يستمر تقديم عروض الأوبرا بلغاتها الأصلية. إلى جانب البدء جديا في تقديم الأوبرا المصرية المؤلفة. مثل أوبرا أنس الوجود للموسيقي

عزيز الشوان». التى من شأنها - الأوبرا المؤلفة - أن تحقق التكامل الفنى والامتزاج الصحى والصحيح بين الجملة اللحنية والجملة الكلامية. وهو الشىء الذى نفتقده فى الأوبرا المترجمة.

إن محاولة ترجمة أوبرا «زواج فيجارو». التى كتب قصتها الكاتب الفرنسى بومارشيه (١٧٥٦-١٧٩١). وكتب أشعارها الإيطالى «دابونتى». وهى المحاولة التى قام بها الدكتور على صادق. وكان قد سبقه إليها الدكتور إبراهيم رفعت منذ حوالى نصف قرن. عندما ترجم أوبرا «لاترافياتا». وأيضا يوسف صباغ عندما ترجم أوبرا «عايدة». وأثيرت من حولهم الكثير من وجهات النظر المختلفة ما بين مؤيد لترجمة الأوبرا من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية. ومعارض لهذه الترجمة... مثل هذه المحاولات. على الرغم من الأخطاء والمحاذير التى وقعت فيها. جديرة بأن تلقى التشجيع. لما يمكن أن تسهم به فى تقريب فن الأوبرا إلى الجمهور المصرى. الذى لاتزال غالبيته بعيدة عن تذوق هذا الفن الجميل. ولما يمكن أن تفرزه مثل هذه المحاولات من اجتذاب مغنين ومغنيات الأوبرا للغناء باللغة العربية كلمات ترتدى ثوب ألحان وضعها موسيقيون كبار بالأسلوب العلمى العالمى.

❑❑❑

ألحان قلب موتسارت المفعم بالحب

اوبرا

«هكذا يفعلن جميعا» التى كتب موسيقاها «فولفانج أماديوس موتسارت» (١٧٥٩-١٧٩١) عن نص باللغة الإيطالية. كتبه لورنزو دابونتى. وقدمتها فرقة شباب أوبرا فيينا على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية بالاشتراك مع كورال أوبرا القاهرة وأوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة أحمد السعيدى وليوبليتز.. مازالت ألحانها تحتفظ بصدقها ورشاقتها وجمالها. وهى الألحان التى تعدنا تشكيلا بصريا مبهرا على خشبة المسرح. فتفرح لها قلوب أرهقتها شرور حياة يومية قاسية. وتطرب لها آذان لم تفسدها بعد النغمات النشاز.

هذه الأوبرا التى قدمت للمرة الأولى فى السادس والعشرين من يناير عام ١٧٩٠ بمسرح «بورج» بمدينة فيينا تؤكد لنا مثلما أكد لنا الشاعر التركى «ناظم حكمت»: «الحياة جميلة يا أخى». وهى العبارة التى عنون بها إحدى رواياته الجميلة... أيضا يؤكد لنا هذا العرض لأوبرا موتسارت «صاحب القلب الموسيقى المفعم بالحب». أن الحياة جميلة. وتستحق أن نعيشها. من أجل لحظات متعة راقية وسعادة هادئة لا يحققها لنا غير الفن الجميل. الذى نجد أنفسنا أمامه. فلا نملك إلا أن نهتف إجلالا له. لأنه جعلنا نشعر بالجمال الرقيق النبادى ينسل رائقا إلى قلوبنا.

إن البساطة التى تتميز بها الجمل الموسيقية للموسيقى العبقرى «موتسارت» والتى تخفى وراءها الكثير من الحذق والمهارة. وكذلك الرشاقة التى تدير خطوطه اللحنية وايقاعاته النغمية. هى فى جوهرها تحمل الكثير من المشاعر العميقة والأحاسيس المرهفة.. يتجسد ذلك فى أوبراته «اختطاف من السراى» و«زواج فيجارو» و«دون جيوفانى» و«الناى السحرى» و«هكذا يفعلن جميعا».. وإذن علينا كمحبين لموسيقى «موتسارت» قبل دخولنا المسرح الذى يقدم لنا أوبرا له. أن نلقى عند الباب بهمومنا وأحزان حياتنا ونتخفف منها. ذلك لأن «موتسارت» صاحب القلب الموسيقى المفعم بالحب. يعلمنا فى موسيقاه أهمية أن تصبح الجملة الموسيقية بسيطة ورشيقة. وأهمية أن يكون اللحن أيضا بسيطا وفيه شىء من الخفة التى لا يعيبها أن تجلب لنا الابتسامة.

فى «نابولى» المدينة الإيطالية التى أطلقت على «موتسارت» اسم «أماديوس المحبوب». تدور أحداث أوبرا «هكذا يفعلن جميعا»... فى أحد مقاهى «نابولى» يتقابل الضابطان الصديقان «فرناندو» و«جوليلمو» بصديق ثالث لهما هو «الدون ألفونسو». وفى حوار بينهم يدور حول المرأة. يتغنى «فرناندو» بحب وإخلاص خطيبته «نيورديليجى». وكذلك «جوليلموا» يتغنى بوفاء خطيبته «دولارابيلا»... لكن صديقهما «الدون ألفونسو» يعارضهما الرأى. ويؤكد إنهما على خطأ فى رأيهما

عـن المرأة... وحتى يمكنه أن يبرهن على صواب رأيه. يطلب منهما أن يقوما بتنفيذ تعليماته لمدة ٢٤ ساعة.

تتوالى أحداث الأوبرا فى مشـاهد تبعث على الابتسام والضحك من خلال تدفق الألحان العذبة الصادقة بالغناء الجميل. الذى يصور أحوال القلب الإنسانى الأبيض فى عالم يموج بالصراع.

إنها الألحان الباسمة الصادرة عن قلب «موتسـارت» الموسيقى المفعم بالحـب. وقد حافظت على قدر من التوازن بين الموسـيقى والدراما فى أوبراته.. فهو لم يتنازل عن أى حق من حقوق موسيقاه أمام طغيان نص درامـى. كما أنه لم يضيع حق الدراما من أجل أن يشـدو بالغناء.. ولم ينس «موتسـارت» أيضا أن يجمل موسيقاه الجميلة التى وضعها للآلات الموسيقية بجمال وعمق روح الأصوات البشرية.

❑❑❑

من يغنى حبه لا يفكر فى الشر

العازفون

وآلاتهم الموسيقية فى حضرة الأوركسترا أسفل خشبة المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية.. تثار النغم يسرى فى الفضاء الممتلئ بأناس اجتمعوا على حب الموسيقى.. الآلات الوترية تضبط أصوات أوتارها. وأصوات آلات النفخ الخشبية والنحاسية فى صعود وهبوط على السلم الموسيقى. وآلات الإيقاع تركن إلى خفوت. تحسبا للطابع العاطفى لألحان الإيطالى «جايتانو دونيزتى» (١٧٩٧-١٨٤٨).

عن قصة للسير «والتر سكوت» بعنوان «عروس لامير مور». كتب لها النص المسرحى «سلفاتورى كامارانو». والنص الموسيقى «دونيزتى». قدمت أوبرا صوفيا على مسرح دار الأوبرا المصرية. ولمدة ثلاثة أيام عرض أوبرا «لوتشيا دى لامير مور» فى ثلاثة فصول وخمسة مشاهد.

دائرة الضوء تنحسر مع البلغارى «ميتودى ماتاكيف» قائد الأوركسترا. ممسكا بعصاه فى سيره نحو مكانه العالى المواجه للعازفين وآلاتهم الموسيقية... ينحنى القائد أمام تصفيق الجمهور. وبيده وعصاه يعطى إشارة البدء... لينهمر النسيج اللحنى عذبا صافيا يرسم فى الفراغ صورا وأفكارا ومعانى.

من يغنى لا يفكر فى الشر . هكذا يقول المثل فى بلغاريا... وهكذا لوتشيا الإسكتلندية الجميلة الرقيقة. لا تفكر فى الشر الذى ينسجه شقيقها اللورد «هنرى» لها ولـ «إدجار». ولا تملك إلا أن تغنى حبها وفرحها باللقاء المرتقب الذى يجمعها بـ «إدجار» الذى أحبته.

إنه الشر الكامن داخل نفس اللورد «هنرى». هو ما دعاه إلى أن يفكر فى تزويج شقيقته من اللورد «آرثر»، أحد كبار رجال البلاط الإسكتلندى. حتى يضمن لنفسه الأمان والنفوذ والسلطان. وهو ما جعله يحجب خطابات «إدجار» من مستقره فى فرنسا عن «لوتشيا». ويقدم لها بدلا منها خطابا مزورا من «إدجار» يفيد زواجه من أخرى أجنبية.

فى فضاء المسرح خطوط لحنية وتآلفات هارمونية بحبة الصوت البشرى العظيم وهو يغنى... الميسترو «متيودى ماتاكيف» تتحرك عصاه لتنظم الإيقاع والزمن للعازف والمغنى. وليتسلل اللحن نافذا إلى وجدان الحضور. ناقلا لنا موسيقى جديدة وعاطفية وصدّاحة، كتبها «دونيزتى» عام ١٨٣٥.

إنها الموسيقى. ذلك الفن الجميل يخاطبنا بلغة عالمية تشيع عبر حواسنا. دون أن تحتجزها عقولنا المرهقة، بفعل صراعات متدنية تستهلكنا. فى حياة يومية تفتقد الحب. وتفتقد كثيرا إلى الغناء الفاضل الذى لا يفكر فى الشر. وإنها مغنية الأوبرا «اليكساندرينا بنداتشكا» (سوبرانو) التى قدمت دور «لوتشيا». وكان لصوتها القوى المعبّر الجميل أعمق الأثر فى مشاهدى العرض الأوبرالى.

لقد أوبرا «توتشيا دى لامرمور» من أشهر الأعمال الأوبرالية التى ألفها الموسيقار الإيطالى «جايتانو دونيزتى» إلى جانب أوبرا «كسير الحب» وأوبرا «دون باسكوالى» والتى بلغت نحو خمسة وسبعين عملا... كما يعتبر «دونيزتى» أحد الشخصيات المهمة فى تاريخ الأوبرا الإيطالية خلال الفترة ما بين «جواكينو روسينى (١٧٩٢- ١٨٦٨). و «جوزيبى فيردى» (١٨١٣-١٩٠١) وهى فترة من أهم فترات الأوبرا الايطالية.

باريس تغنى ليلة عيد الميلاد

ندف

الثلج الأبيض الناصع المتساقطة من سماء باريس. تغطى أسطح المنازل والعربات والطرقات.. فتية وفتيات جميلات بوجوه مشرقة ضاحكة في طريقهم إلى الحي اللاتيني المحتفل بليلة عيد الميلاد. يملأون أكفهم بنثار الثلج. ويقذفون به بعضهم البعض.. وفي مقهى من مقاهي نهر السين. يغنى المجموع في ابتهاج وفرح. والمحبون يغنون حبهم. يشهد عليهم خرير النهر. وضياء القمر. ورذاذ الثلج الأبيض النقي. والنجوم في السماء وفي شجرة عيد الميلاد.

إنه دفء الحب وحرارة القلب الممتلئ بالفرح والابتهاج بالحياة. هو الذي يشيع جوا من التوازن والاتساق في أوبرا البوهيمية للموسيقى الإيطالي «بوتشيني». التي ينتظم مشاهدها ونسيجها النغمي فكرة الصقيع والوحدة. منذ لحظة رفع الستار عن فصلها الأول. وحتى نهاية الفصل الرابع والأخير.

كما أوراق وردة تنشر عطرها وعبيرها برغم الصقيع والبرد الذي يلف الكائنات بعباءته. ينبت الحب في الصدر العليل لـ «ميمي» الفتاة الباريسية الفقيرة. التي تكسب عيشها برسم الورود والأزهار على قطع النسيج... ويخفق لحب «ميمي» قلب «رودلفو» الشاعر. الذي لا يجد وقودا للمدفأة يحميه من برد الشتاء غير أوراق روايته التي انتهى من كتابتها.

حيـاة مطـاردة بالفقـر والخوف من الوحـدة. يعيشـها كل من الأصدقـاء الأربعة. الذيـن يقطنون غرفة بأعلى سـطح إحدى عمارات باريس: «رودلفو» الشاعر. «مارسـيللو» الرسام. «كولين» الفيلسوف. و«شوفار» الموسيقى.

يؤلف الحب بين قلبى «رودلفو» و«ميمى». وكذلك بين «مارسـيللو» و«موسيتا».. فهل يمكن لوردة الصقيع أن تحتفظ بحقها فى الحب والحياة السوية فى باريس عام ١٨٣٠.. أم أن شبكة علاقات شريرة وغير عادلة فى المجتمع كفيلة بأن تغتال أحلام البسطاء فى حياة كريمة؟

أيهـا النغم الجميـل والعذب. أعـط «رودلفو» القوة علـى أن يعيد الـدفء إلى يدى «ميمـى» الباردتين وصدرها العليل.. ويـا أيها النغم الثائـر والغاضب تردده أفواه مجموع فقـراء باريس. كن القوة الفاضلة تقتلع من طريقها الشر والفساد.

تظل علينا من بين خيوط النسيج الأوركسترالى البراق والقوى لموسيقى «بوتشينى» غنائية رقيقة. تمتزج بسخرية شفيفة من الحياة واعرافها وقوانينها وقواعـد القبول فيها.. إنها أوبـرا «البوهيمية» التى تتميز عن غيرها من أوبرات «بوتشـينى» بقوة التعبير الغنـائى والدرامى. كما تتميز بالدقة والمهارة فى رسـم الشـخصيات. وبالنسيج الأوركسترالى المعبر عن أدق المشاعر والأحاسيس.

كتب هنرى مورجر النص الأصلى لأوبرا «البوهيمية». وأعد النص الشعرى له باللغة الإيطالية «جوسيبى جياكوزا» و «لويجى ايليكا». وقدمت لأول مرة عام ١٨٩٦ فى «تورين» بإيطاليا.. وتعتبر هذه الأوبرا من أهم الأعمال التى تقدم بصفة مستمرة فى كل دور الأوبرا فى العالم. وتلقى إقبالا كبيرا من كل الأعمار.

يا زهرة الثلوج بأعلى الجبل تحدثى إلينا

ايتها الزهـرة الجميلـة ذات الألـوان بأعلـى الجبل وسـط الثلج والإعصار. تحدثى إلينا. وأخبرينا عن سـر قوتك وجمالك. نحن الفقراء نغطن السـفح ونحلم كثيرا. لكـن عيوننا لا تبصر وأيادينا قاصرة.. اكشـفى لنا يا زهرة الثلوج الغامضة فى مكانك المرتفع عن أصل البلاء الذى نعيشـه والقهر الذى نتنفسـه.. يا زهـرة الثلوج الجميلة ذات الالوان. تحدثى إلينا وابعثى النور والضياء فينا.

فنون الشـعب الفلكلوريـة. هى التعبير عن الحس الشـعبى العام والوجـدان الجمعـى المؤصل فى القـدم. عبر ثقافات وخبرات الشـعب المتراكمـة. وهـى الحاملـة لملامـح وخصائـص وسمـات الجماعة فى بسـاطة وعفوية وتلقائية. وفـى أعياد الشـعوب واحتفالاتهم الدينية والدنيويـة تظهر فنون الفلكلور متمثلة فى الموسـيقى والرقص والغناء والأزياء التقليدية.

ولما كانت الشـعوب المختلفة تنتمى فى الأصل إلى الطبيعة الإنسانية العامة. فإنه من الطبيعى ان تتواجد أوجه شبه فى الرقصات والأغنيات الفلكلوريـة بين شـعب وآخر. وتلتقـى أذواق الشـعوب وتتوحد عند مشاهدتها لفنون بعضها البعض.

من منطقة «أوتارخند» الهندية المكونة من ثماني مقاطعات جبلية تمتد داخل جبال الهيمالايا. تحدها الصين من الشمال ونيبال من الشرق. تأتي لنا فرقة الرقص الهندية «بارفاتيا كالا كندره» لتقدم للجمهور المصري على مسرح الجمهورية بالقاهرة عددا من الحفلات. نتعرف فيها إلى عادات ومعتقدات وماثورات في التاريخ الثقافي لحياتهم اليومية. وفي أوقات احتفالهم بالحياة التي تعكس لنا تصوراتهم للطبيعة والمجتمع.

عند مقدم الربيع. والزهور الجميلة تنتشر بأعلى الجبل والتل. وتنشر أريجها في الهواء. يخرج الرجال والنساء والأطفال في قرى الهند الفقيرة إلى حيث الخضرة والزهر بالألوان.. تتشابك الأيدي وتتوحد حركة الأرجل والسيقان والأجساد مع ضربات الإيقاع الصادر من الطبول وآلات النفخ الخشبية. ويخرج من الأعماق المنتشية بجمال الطبيعة والكون. صوت المجموع الواحد ليغني أغنيات الفرح المصاحبة للرقصات المحتفلة بمقدم الربيع.

في عيد الألوان. أهم الأعياد في الهند. يخرج الرجال والنساء والأطفال إلى سفوح الجبال. يتقاذفون بعضهم البعض برشاش الماء الملون والمساحيق الملونة.. وحول أغصان الشجر المزدانة بالخضرة وبقطع القماش الملون. يلتفون ويرقصون ويغنون أفراحهم بالعيد والألوان.

في رقصة السيوف. يتقدم موكب زفاف العروس أعضاء فرقة السيوف بأعلامهم الحمراء. وبعد إتمام مراسيم الزفاف وطقوسه في

أمان وسلام. ينزلون الأعلام الحمراء ويضعون مكانها الأعلام البيضاء الدالة على وصول موكب الزفاف والعروس إلى بيت الزوجية الجديد. دون أى شىء يعكر الأجواء المبتهجة. سوى فرحة ام العروس المغموسة بالدمع لفراق الابنة وذهابها إلى حضن آخر غير حضنها.

أنت أيها المساء. تأتى إلينا متسللا خلسة بعباءتك الداكنة من فوق الجبل والتل. حتى قبل غياب قرص الشمس فى البحر الكبير.. ماذا تخبئ لنا من شرور أيها المساء؟.. وماذا ستحمل لنا من أنباء عن الابن الذى هاجر. والزوج الذى رحل سعيا وراء الرزق؟.. هل الوعد بعودة فلذات الأكباد من الغرب الشرير الى أحضان الأمهات. هو ما تحمله معك أيها المساء؟.. لا تدر وجهك بعيدا ولا تكذب أيها المساء أمام دمعة حزن تسفحها أم على الابن فى البلد البعيد.

رقصات وأغنيات جميلة على وقع موسيقى عذبة. تصدر عن فتيات هنديات صغيرات جميلات وفتية يافعين. ينقلون إلى المتربين فنونهم التى تجد لها صدى فى الوجدان الشعبى المصرى العربى. الحافل بموروثات الأجداد وعادات وتقاليد الأسلاف فى وادى النيل ووادى دجلة والفرات وعلى سواحل البحر المتوسط وعلى أرض الجزيرة العربية والى ضفاف الخليج العربى القريب والمجاور للمحيط الهندى.

ألوان اليابان الزاهية وموسيقاها الصادحة

هل الحنين إلى اليابان القديمة التى كانت تعتمد فى حياتها على حرفة الزراعة. وإلى النظر فى المعتقدات والطقوس الدينية التى كان يمارسها الأجداد اليابانيون ساكنو الجزر. هو ما نشهده من رقصات شعبية تقليدية أشبه بطقوس دينية كانت تؤدى فى المعابد والمزارات الدينية اليابانية من زمن؟

فى العرض الذى قدمته فرقة الرقص الشعبى التقليدى اليابانى على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. تتبدى لنا الأسطورة التى تستمد وجودها من الشعائر الدينية وهى تعانق عناصر الفولكلور اليابانى الذى يعبر عن عادات وتقاليد الشعب فى حياته اليومية.. إنها اليابان القديمة تفتح لنا بوابتها السحرية. لننظر فى جمال روحها. ولنستمع إلى عذوبة صوت غنائها الشجى وموسيقاها الصادحة.

المشهد اليابانى على المسرح يأخذنا إلى جزيرة يابانية فى القرن الخامس عشر الميلادى. حيث الآلهة تنزل من مقامها الرفيع السامى. حين تستشعر ظلما وقع على جماعة بشرية من الفقراء المرتبكين الأنقياء.. هذا إله طيب عالى الرتبة والمقام يأتى بطبلته الضخمة ويقرعها فى غضب وعنف. لعل أهل الجزيرة الظالمة ترجع عن غيها. ولعل الأنقياء

الثروة يأخذون من اليابانيين ويتاجرون النعساس من عيونهم ويريدون بالتزوير الحق من صاحبه.

وهذه حية شيطانية ضخمة لا تهدأ ثائرتها إلا بعد التهام واحدة من فتيات الجزيرة.. لكن الإله الشجاع الطيب صديق الفقراء الشرفاء حين يشتد دموع الأب والأم المحزونين. يتقدم ليخلص الجزيرة من الحية التي تتغذى من دم الأبرياء. وليتقاتل داخل ذيل الحية المتدلية وجد سيف ذهبي هو واحد من ثلاثة كنوز مقدسة.

أسطورة يابانية تتشكل أمامنا على خشبة المسرح في صورة رقصة العنكبوت.. التي تصور معركة بين عنكبوت ذي قوة شريرة وبين قائد عادل وجنود شجعان.. إنه التشكيل الذي يخيف إلى حركة الرقص وإلى صوت الوسيقى الصورة والمعنى والدلالة. ذلك الذي يحبه العنكبوت في فضاء المسرح من خيوط كثيفة متشعبة تزيد من حدة النزال.

يخفت الإيقاع لينعش اللحن المضيء. تتفتح على نغماته الطفولية زهرات تطل من سلال تمسك بها فتيات يابانيات صغيرات.. إنها روح اليابان القديمة الجميلة تطل علينا باعثة فينا أجمل النغم وأزهى الألوان.. اليابان الفاضلة المتواضعة الوادعة. لم تنس قديمها الطيب وهي تثب لتلحق بالعالم الجديد وتنافس بتجربتها الكبيرة في التقدم والنمو أكبر الدول.

هذا صوت المغنية «جونجارا بوشي» تغني أغنيات من منطقة

تسوجارو المرادفة في القسم الشمالي من جزيرة هونشو الكبرى جزر اليابان.. وهذه آلة موسيقية شعبية تنثر فيها نغمات هي العزاء للقلوب أرهقها حجم النحيب الكامن في الوجوه والأصوات والكلمات.. ورقصات مصاحبة تتفتح كوردة وتتشكل كلوحة.

❑❑❑

قطرات نغم تنسكب في عمق أرواحنا

عازفو

الساكسفون والترومبون والترومبيت (١٣ عازفا) يأخذون في الانتظام على شكل ثلاثة صفوف متوازية على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. وآلات البيانو والباص والجيتار والدرامز تعتلي خلفيتها. في فضاء المسرح ينساب نثار النغم من تجاويف الصدر النحاسي الموسيقي.. ومن وتر الباص المنفرد تتجاذبه أصابع العازف. يتسلق الإيقاع من خطوط معازلا نغمة عاطفية تسري في جمال وألق.. وقطرات من لحن حاف عذب تنثال من أصابع البيانو حلوة المذاق تغتسل لها نفوسنا المتعبة

صرخة مكتومة تنبعث من آلة الساكسفون. تفتح صندوق التذكارات. فتستخرج منه ذلك النغم الحاد القوى الحزين يتناثره هواء شارع ١٢٥ في هارلم. حي الزنوج السود بنيويورك. حيث يفترش زنجي أسود رصيف محطة قطارات «السابواى» نافخا في الساكسفون وقطع النقود المعدنية تتساقط من أيدى الرائحين والغادين بإهمال وعجلة. لتلتقطها علبة الآلة الموسيقية الفارغة.

من علّم موسيقى الجاز كيف تنثال من الشارع والميدان والأرض الفضاء في حي هارلم؟.. ومن أوعز لها أن ترتدى الملابس الرسمية. وتسجن إيقاعاتها وألحانها داخل حروف النوتة الموسيقية. وترتاد قاعات

الكونسير في العالم. لتقديم عزفها البرنامج سابق التجهيز لجمهور يرتدي الملابس الرسمية. ولتتنازل عن تقسيما في مؤتمرات صحفية أية علاقة لها بالسياسة وبالالام الإفريقي؟!

الجاز.. طائر الألحان القادم من ميدان الكونغو في أوركيدات القديمة. حيث كان يتجمع العبيد الافريقيون بعد انتهائهم من العمل الشاق. ويرقصون الباميولا ... من أمسك بطائر الألحان هذا. ونزع منه الريش وهذّب أجنحته فأصبح لا يقدر على الطيران في الأعالي حيث الحرية والعدل!... ومن علّم طائر الألحان هذا حكمة أن يبتعد بإيقاعاته عن صاحبيه الحركة والرقص . ويدخل قفصا ذهبيا ليقدم موسيقى لصاحبة الجلالة الآن؟

بالرغم من شارة الجاز هو المرح التي تدين لها بأولاء آلات الإيقاع بقرقعة طبليب موريس . إلا أن جماعة آلات النفخ النحاسية. تستطيع الإفلات في اندفاعات محمومة من إسار الزمن المنتظم الإيقاع. وينطلق صوت الذاكرة المذالة للآلة والعازف. فتبث روحها التي استفاقت تآلفات ألحان وإيقاعات. خارجة على المدون في النوتة الموسيقية. لتبحث في حرية البوح والاعتراف عن الموسيقى التي تليق بها.

هذا هو الجاز طائر الألحان القادم. يرفع ملابسه الرسمية. يخرج من قفصه الذهبي. ويعزف اللحن في كل مرة بطريقة تختلف عما قبلها. ويمنح الإيقاعات المختلفة في الزمن الواحد. ويؤلف بين

الصـادح والجهير من الأصوات. ويوائم بـين النغمة البراقة المحتفلة وبين أخرى أسيانة منوحدة متفردة تتلفع بالظلال.

علاقـات لحن حريرى ناعـم. تتمرد على إيقاعـه. وتذهب بعيدا لتلمس مكامن الألم الخاص والحميم. وتربت بكفها الرحيمة على الآهة الـسـجينة بالصدر.. علاقات لحنية عادلة تتقدم بمرح وابتسام. تسكب صفاءها وبهجتها فى أرواحنا التى تعانى من مرض افتقاد العدل.

آلات البيانـو والبـاص والدرامز والجيتار تنثر فـى الفضاء الإيقاع الـسـريع الوثاب.. والأبدى تغالب ترددها فى محاولة للإمساك بالإيقاع المشـوان.. والرؤوس تتمايل فى انتشـاء.. والأجسـاد سجينة الملابس الرسمية والمقاعد تريد أن تحل عقدة الكرافيت وتقذف بنفسها إلى حلبة الموسـيقى.. هذه آلات النفخ النحاسـية تبث نغمات «البلوز» الحزينة كحزن موال من صعيد مصر.

تنتهى الجملة الموسـيقية التى تعتلى ظهر الإيقاع النشـط البراق. ليتقدم الساكسـفون والترومبون والترومبيـت، كل بدوره. فى حديث منفرد هو النجوى والبوح.

فى موسـيقى فرقة «فيليب موريس» للجاز بقيادة «جين هاريس». قطرات نغم ينسكب فى عمق أرواحنا مشكلة الصوت الجميل القديم الذى فارقنا بغتة. وأسـفنا كثيرا على فقدانه قبـل أن نفهمه ونحبه أكثر.. وفى موسـيقى الجاز إيقاع يعلمنا كيف نغفر للماضى عثراته وخيباته. وكيف نتذوق اللحظة الآنية ونتطلع بأمل إلى مسرات لحظات قادمة.

خطوط الجسد ترسم اللوحة العاطفية

الفتى

الألبانى. شباب وفتوة ورجولة. والفتاة الألبانية. رقة ونعومة وجمال.. على إيقاع الطبول والدفوف المصحوب بنغمات آلتى الأكورديون والكمان. يدق شباب وشابات ألبانيا بكعوبهم على خشبة مسرح الجمهورية بالقاهرة. وهم يغنون فى جمال وقوة وابتسام ويرقصون فرحا بالحياة.

هو الفلاح الألبانى الودود الطيب ينزل من فوق ظهر المحراث الميكانيكى. يمسح بيديه على وجهه متجها إلى آلة الأكورديون. ويقضى فى العزف فترة الراحة من العمل بالحقل. وسط ضحكات الشباب والشابات المختلطة بنغمات الأكورديون.. وبهزة رأس من الفلاح الشاب تنساب من بين يديه موسيقى ملونة تجتذب بإيقاعها السريع والمتدفق الحطوات والأقدام فى تشكيل راقص جميل ومرح وبهيج.

ساحة مصنع تختلط عن آخرها بالعمال من الشباب والشابات. يرقصون ويغنون فى انتظار موعد خروج الوردية.. فتاة المصنع أمام ماكينتها ترسل النظر عبر زجاج النافذة إلى الساحة. فتلتقى عيناها بعينى حبيبها العامل يتوسط حلقة الغناء والرقص.

شباب ألبانيا الطالع يغنى نضال الأجداد ومقاومة شعب محب

للحيـاة.. يرقص الشباب مع الشابات رقصة التسور.. يستعيدون بالحركـة والنغمـة ذكرى بطـولات دارت بأعلى الجبل وفي السفوح والتلال. وبأعلى الصوت ينشدون اسم الوطن: ألبانيا.

خطوات الفتية من جمهورية ألبانيا الاشتراكية رشيقة. والمواعد قوية متحدية. والأجساد مشهرة كسكين في وجه أعداء الحياة.. تتقدم الفتيـات الألبانيـات الجميلات رفيقات العمل فـي الحقل والمصنع في أزيائهـن الملونة على وقع النغم الشـجي.. ترق الحركة ويشـف النغم وترسم خطوط الجسد في الفراغ اللوحة العاطفية.

المغنية الألبانية الشـابة تغني أغنية للمغنية المصرية شـدية.. الجمهور المصري يصاحب المغنية الالبانية في الغناء.. شـباب وشابات فرقة الأغاني والرقصات الشـعبية لجمهورية ألبانيا الاشـتراكية على خشبة مسرح الجمهورية يغنون ويرقصون لانتصار الحياة.. والجمهور المصري يصفق لفنون شعب ألبانيا.

❑❑❑

نقوش المعبد وموسيقى النهر

معبد أبو سمبل.. الأثر الذى نحت المصرى القديم فى الجبل الصخرى فى جنوب الوادى. والذى هبّت حكومات الدول وشعوبها ومنظمة اليونسكو لإنقاذه من الغرق. بعد النداء الذى وجهه الزعيم المصرى جمال عبد الناصر فى ٨ مارس ١٩٦٠.. هذا المعبد الذى سجل لحظة عناق واجتماع ممثلى دول العالم وشعوبه وهيئاته وتعاونهم من أجل إنقاذه منذ سنوات طويلة. يصبح موضوعا لبالية يتعاون فى كتابة مشاهده وموسيقاه وتصميم رقصاته وقيادة مجموعة عازفى الأوركسترا فنانون من مصر واليابان.

جميلة لحظات العناق بين البشر والتعاون والمشاركة من أجل إنقاذ أثر قديم يتهدده خطر. وتحويل مجرى نهر وإقامة سد يأتى بالرخاء والخير للبلاد.. هذه اللحظات الكبيرة فى حياة الإنسان المصرى. التى شهدتها أرض النوبة وشهدها رجال أشداء من صعيد مصر. والتى تتواصل فيها حضارة الأجداد بمسيرة الأبناء نحو البناء والتقدم. تتراءى لنا عبر مشاهد الحركة والسكون التى يتكون منها باليه أبو سمبل الذى كتب السيناريو له سفير اليابان الأسبق فى القاهرة يوسوكى تاكاى وكتب موسيقاه المؤلف الموسيقى اليابانى شيشير واكيبى. واشترك فى تصميم رقصاته عبد المنعم كامل من

مصر و «يوزوم شيجيو» من اليابان. وقد بقيادة أوركسترا القاهرة السيمفونى المايسترو الياباني «شانجى أوتانى».

تحت أقدام الجبل الصخرى المطل على نهر النيل العظيم. ستيقظ من نومه الرجل الجنوبى فى جلبابه الأبيض. يجلس على قطعة مستوية من الحجر الجرانيتى. متأملا النهر فى جريانه الممتد إلى آلاف السنين. ونائما إلى رسومات ونقوش على واجهة المعبد. تحكى وتعبر عن الحب الذى جمع بين الملك رمسيس الثانى والملكة الجميلة نفرتارى.

تراوحت مشاهد باليه أبو سمبل بين الحركة والسكون فى نسيج اللوحات الرائعة الواحدة بعد الأخرى.. لوحة تبلغ ذروة جمالها فى الرقصة النوبية. ولوحة أخرى تتدثر بالسكون المعادل لقدم مشاهد التاريخ كما يتراءى فى الأثر القديم ذى الجلال والعظمة.

ومن باليه أبو سمبل إلى القصيد السيمفونى «نهر المولداو» للموسيقار «سمتانا» ابن «تشيكوسلوفاكيا» قبل انقسامها إلى دولتى «التشيك» و«سلوفاكيا». تعزفه فرقة أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة المايسترو «يوسف السيسى». وفيه تمسك يد الموسيقى الرحيمة بيد جمهور مسرح الجمهورية بالقاهرة. لتأخذه فى رحلة نهرية عبر السهول والغابات والحقول الخضر إلى أن تنتهى به الرحلة فى العاصمة التشيكية «براج».

واكتمل الحفل الموسيقى بحوار بين آلة الفيولينة تعزف عليها اليابانية «كيك واتايا» وبين آلات مجموعة الأوركسترا بقيادة المايسترو

يوسف السيسى . وذلك فى كونشرتو الفيولينة والأوركسترا رقم ٤٧ للموسيقى الفنلندى «سيبليوس» . الذى يعكس من خلال نسيجه النغمى صورا من الشمال البارد حيث الغابات الفسيحة والأحراش والبحيرات والثلوج البيضاء والانسان.

❑❑❑

الحركة الشاعرة تعانق النغم الفاضل

المشاهد

لفرقة «بول تايلور» للرقص الأمريكي الحديث في حفلتي العرض على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية. قد لا يجد ما اعتاد عليه في عروض الباليه الكلاسيكي. من جمل خطوات وحركة محسوبة بدقة ونظام. ومن أداء يغلب عليه الرقة والدلال. ومن مناظر ودبكورات وأزياء. تضم الإبهار وتشيع جوا من الخيال والفانتازيا... لكن المشاهد هنا سيجد أداء مختلفا وتوجها مغايرا.

في رقصات فرقة «بول تايلور» للرقص الأمريكي الحديث. نشاهد جسد راقص يبذل روحه مع كل حركة تقول الصدق ولا تكذب. ونشاهد رقصا يبتكر مع كل حركة لغته الخاصة وحديثه المنفرد الذي يخاطب الجانب المعتم في عمق ذواتنا الداخلية. ويخبرنا عن أنفسنا وعما نريد أن نعرفه.

على خشبة المسرح. الحركة تعانق النغم. والجسد الراقص يتشكل صورا وطقوسا ورموزا.. إنه الرقص يشير ويومئ بانفعال كالشعر إلى صورة الإنسان في عصرنا الذي تشوهت فيه العلاقات وتقطعت.. إنها المخلوقات الراقصة الشاعرة بعمق المأساة الإنسانية. تكاد تلمس مكان الجرح المدمى والعصب العاري فينا.

إنه الرقص الذى يخاطب فينا بقية من صدق. قابعة هناك فى العتمة وحيدة منعزلة ولا تريد الكلام. لعلنا نلقى نظرة على شروط الظلم الناشر ظله القاتم على الأحياء والأشياء من حولنا.. ولعل الأمريكيين يخلعون عن وجوههم أقنعة النفاق التى تخفى عن عيونهم الزرقاء الإلكترونية. ما ينشرونه فى العالم من حولهم من قبح ودمامة.

هل الحركة التى لا تكذب. باحتفائنا النغم الخليب الفاضل. هى ما جعلنا نستشعر الطهر والتسامى. أثناء مشاهدتنا للرقص؟.. هى هو الرقص. ذلك المخلوق الشاعر. يسخر من كبار القوم بشبكة علاقاتهم ودوائر نفوذهم. ويعطيهم ظهره. مدعيا وجها الجميل والفاضل للمتوحدين فى عزلتهم!

السيرة الذاتية للمؤلف

- عمل رئيسا لتحرير مجلة الشعر ونائبا لرئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.. ومسئولا عن القسم الثقافى ورئيسا للديسك المركزى بجريدة الشرق الأوسط الدولية بمكتبها بالقاهرة.. ومسئولا للتحرير بمكتب جريدة اليوم السعودية بالقاهرة..
- حصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من جامعة أسيوط عام ١٩٧٣.. وشهادة F.C.E فى اللغة الإنجليزية من جامعة كامبريدج بإنجلترا.. ودبلوم فى الترجمة من لندن عام ١٩٨١.. ودبلوم الدراسات العليا فى النقد الفنى بأكاديمية الفنون المصرية عام ١٩٨٤.. ودبلوم الدراسات العليا فى الصحافة من كلية الإعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٧.
- نال جائزة نقابة الصحفيين المصريين فى التغطية الثقافية والفنية أعوام ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٨٩.
- حصل على جائزة المركز العربى الجغرافى «ارتياد الآفاق» فى أدب الرحلة عام ٢٠١٢.

له من الكتب:

- الحب يسألكم المغفرة (ديوان شعر).. جامعة أسيوط عام ١٩٧٠.

- أمريكا.. سرى جدا (أدب رحلة).. مكتبة مدبولى عام ١٩٨٧.
- وردة الشمال.. (أدب رحلة).. المركز المصرى العربى عام ١٩٩١.
- لبنان.. هبة الجبل (أدب رحلة).. دار ارتياد الآفاق عام ٢٠٠٤.
- رحلة إلى المغرب (أدب رحلة).. دار المعارف عام ٢٠٠٧.
- تونس البهية (أدب الرحلة).. دار ارتياد الآفاق عام ٢٠١٢.

ترجم من الكتب:

- رواية «شعب يوليو» للروائية ناديـن جورديمر.. الدار المصرية اللبنانية عام ١٩٩٤.
- مذكرات «بيتر آرنت» أشهر مراسل عسكرى فى العالم.. مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.
- «فاروق ملك مصر.. حياة لاهية وموت مأساوى» للكاتب وليم ستاديم.. كتاب الجمهورية عام ٢٠٠٧.
- رواية «ميراث الخسارة» للروائية كيران ديسـاى.. سلسلة الجوائز بالهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٩.
- «عائلة كينيدى: الصعود إلى الهاوية» للكاتب جون ماك جينيس كتاب الجمهورية عام ٢٠١٠.
- رواية «زهرة الكركديه الأرجوانية» للروائية تشـيما ماندا أديتشى.. سلسلة الجوائز بالهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٢.

الفهرس

الشرق وطن الروح..... ٥
شلالات الضوء الموسيقية..... ١٣
شعر الحركة..... ١٩
التوق إلى الطبيعة وحياة البرية..... ٢٥
ما فعله الأمريكى الأفاق لفتاة الجيشا اليابانية..... ٣١
العصفور النارى..... ٣٨
الموسيقى تثأر للشرف العزيز..... ٤٣
الغناء بالصورة..... ٤٨
البحث عن العاشق العظيم..... ٥٣
الغجرية كارمن والأسبانى أنطونيو..... ٥٧
زوربا اليونانى.. اللحن الجبلى القوى..... ٦١
أبو الهول.. الأرض.. الدرس..... ٦٤
الإيقاع الغريزى والانفعالى والفطرى فى الرقص..... ٦٨
رحلة مع الحلم..... ٧٢
الرسم بالموسيقى والرقص بالألوان..... ٧٦
خطوط الجسد منسابة كنغمة عاطفية..... ٨٠
كليوباترا فى حديقة قصرها تغنى لحبيبها أرق الأغنيات..... ٨٤
رقصة طائر متألم من كوريا الجنوبية..... ٨٨

فرحة الرسم الشاعرى الحزين..... ٩٢
خيوط دانتلا على نسيج موسيقى ناصع البياض..... ٩٥
شاعر الموسيقى شوبان..... ٩٩
الجميلة نفرتارى..... ١٠٢
النغمة العاطفية تعانق إيقاع فلامنكوجاز..... ١٠٥
رحلة إلى بلاد الإغريق..... ١٠٨
رقص كأنه الرسوم والأشعار..... ١١٠
مصرع حب عظيم فى مجتمع مزيف..... ١١٣
الصوت البشرى يصاحب اللحن الرشيق المرح..... ١١٦
ألحان قلب موتسارت المفعم بالحب..... ١١٩
من يغنى حبه لا يفكر فى الشر..... ١٢٢
باريس تغنى ليلة عيد الميلاد..... ١٢٥
يا زهرة الثلوج بأعلى الجبل تحدثى إلينا..... ١٢٨
ألوان اليابان القديمة الزاهية وموسيقاها الصادحة..... ١٣١
قطرات نغم تنسكب فى عمق أرواحنا..... ١٣٤
خطوط الجسد ترسم اللوحة العاطفية..... ١٣٧
نقوش المعبد وموسيقى النهر..... ١٣٩
الحركة الشاعرة تعانق النغم الفاضل..... ١٤٢
السيرة الذاتية للمؤلف..... ١٤٤

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

يصدر قريبا

■ خلق الإنسان من علق

محمد رشاد الطوبى

فى الأوبرا والباليه...لوحـــات موسيقية، ورقـص كأنـه الرسـوم والأشـعار، وخطـوط جسـد منسـابـة كأنـها موسيقـى، وحركة شاعرة تعانق النغم الساحر، وإيقاع يهدئ من خطوه ليغازل نغمـة عاطفيـة تسرى فى جمـال وألفة.

إنها الموسيقى، اللغة الفاضلة، تنادى على الجسـد لعله يسـتيقظ... يـضرب بقدمه الأرض الغافلة الساكتة عن الحق ويشرع ذراعه كخنجر فى وجه الريح غير المواتية، ويتقدم شامخا إلى الأمام، لا يعبأ بالأخطار التى تحيـق به فى رَحـلة السـعى الـشاق، طلبا لوردة العدل الجميل تنشر عطرها فى فضاء المدن.

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

٤٠٨٢٧٤/٠١